تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

قد تعد ظاهرة تنقل الالفاظ من ابرز الظواهر اللغوية الاجتماعية لشيوعها بين مختلف اللغات ، وبخاصة اللغات الحية منها ، وفي كثير من المجتمعات ، وفي شتى انماط لغاتها من فصيحة وعامية .

وهي : تعني تنقل الكلمة من لغتها الاصل الى اكثر من لغة ، ومن مجتمعها الأم الى أكثر من مجتمع .

وتنشأ تلقائيا كأي ظاهرة اجتماعية اخرى ، وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات ونقل المعارف وبسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها في التعرف على تاريخ الكلمة في نشأتها وتطورها وتغيرات هيئتها وتقلبات مضمونها .

وقد توفرت جملة من معجمات بعض اللغات على التعريف بها كالانكليزية في مثل Webster's (International Dictionary وكالفارسية في (فرهنك نفيسي) .. غير انا لا نجد مثل هذه المعجمات في اللغة العربية مع توفر جملة من معجماتها على التعريف بالدخيل أمثال : معرب الجواليقي ومغرب المطرزي وشفاء الخفاجي والالفاظ الفارسية المعربة لادي شير الكلداني ، وتوفرت جملة اخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التي استعجمت كقاموس دوزي المستشرق الهولندي الذي جمع فيه المفردات العربية التي دخلت الاسبانية والبرتغالية و (الكلمات العربية في اللغة البرتغالية) لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة في اللغة الانكليزية) لجرجيس فتح الله المنشورة بمجلة المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجام - واعني بها دخول الكلمة العربية الى اللغات الاخرى - وظاهرة الاستعراب - وهي دخول الكلمة غير العربية الى العربية - وبين ظاهرة التنقل في مجال الدراسة والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب فيما اعتقد اي شي من التوضيح .

والفرق في مجال الاستثمار الدراسي هو المهم هنا - فيما اخال - ذلك ان دراسة الدخيل لا تكشف لنا في الغالب الا عن مجال من مجالات الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الاصل وقد يكون غيره . ودراسة الاستعجام هي الاخرى قد لا توقفنا على اكثر من مجال دخلته الكلمة العربية .

اما فى دراسة تنقل الالفاظ فمجالات الافادة كثيرة ، منها ما المحت اليه اعلاه ، ومنها الكشف عن قابلية الاستيعاب فى لغتنا وقوة الهضم والتمثيل وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء مما يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنة ، التى اكتسبت صفة التقدم نتيجة التاثير والتاثر والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا فى ضوء ما نراه من توسع كبير فى الدراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل هذا المعجم الذى يعنى بتاريخ الكلمة العربية المستعربة او المعربة عن قريب باذن الله تعالى .

وكامثلة اضع بين يدي القاريء الكريم اضمامة صغيرة من الكلمات المعربة المتنقلة التى افدتها من بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية الآداب ـ جامعة الملك عبد العزيز الذى يسر لي كثيرا مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

1 ـ موسيقى Music ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

2 ـ مغناطيس Magnat ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

3 ـ كريستال Crystal ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

4 ـ نرجس Narcissus ـ اليونانية . اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

5 ـ بوليس Police ـ اليونانية . اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

6 ـ كلية College ـ اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

7 ـ بروفسور Professor ـ اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

8 ـ ليمون Lemon ـ اللاتينية. الفرنسية. الانكليزية . العربية . الفارسية .

9 ـ صراط Street ـ اللاتينية . الالمانية القديمة . الانكليزية القديمة . العربية القديمة .

10 ـ امبراطور Emperor ـ اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .

11 ـ بنك Bank ـ الايطالية القديمة . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .

12 ـ كاش Cash ـ اللاتينية. الايطالية. الانكليزية . العربية .

13 ـ بلاتين Platinum ـ الاسبانية . الانكليزية . العربية

14 ـ ماركة Mark ـ الالمانية . الانكليزية . العربية .

وكنموذج تطبيقي نأخذ مثالا واحدا من الكلمات المعربات المتنقلة ، هو كلمة (كعك Cake) المعربة عن الفارسية ، وهي من المعرب القديم الذى يمتد فى تاريخه الى اوائل العصر العباسي .

فاننا عندما نرجع الى تاريخها فى لفظها الانكليزي (كيك Cake) نجد انها انتقلت من اللغة النرويجية القديمة الى اللغة الالمانية القديمة ، ومن الالمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ، ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي (Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق المعرب عن الفارسية (كعك) وفى معنى آخر يشبه معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها ـ فيما اخال ـ من انها سلكت فى دخولها الى اللغة العربية طريقين : طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ، واخضعت فى اولهما الى اصول التعريب فتحولت الى (كعك) ، بينما لم تخضع فى ثانيهما الى تلكم الاصول فبقيت على لفظها الأعجمي (كيك) ، وربما عاد ذلك الى التفرقة بين معنيي استعمالها والى ضعف الالتزام باصول التعريب .

وفى ختام حديثي هذا اعود فاقول : ان هذه الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية فى دراساتنا اللغوية وبخاصة المعجمية منها لما ستلقيه من الاضواء على الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقول اللغة وفروعها .

مظاهر التعريب

الأستاذ محمد بن تاويت

كثيرا ما قلنا ان التعريب كان منصبا على الالفاظ ، بينما التعريب الآن منصب على المعاني

فما معنى هذا الكلام ؟

معناه ان العربي ، كان اذا جلب كلمة او جلبت اليه ، يستغني بالباسها لباسه العربي ولو بغطاء الراس مثلا او الحذاء

جاءته كلمة « كروان » بمعنى القافلة ، فقال فيها قروان ، وغطى راسها بالالف واللام فاصبحت القروان او القيروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع بكل الحقوق التى تتمتع بها الكلمة العربية فى اعرابها ، فلا تمنع من الصرف لعلة العجمة ، لانها قد ارتفعت عنها بهذا العقال ، الذى هو هنا الالف واللام ، كما حدث فى الهند والصين والروم والترك.

سمع النبي عليه الصلاة والسلام ، من سلمان الفارسي ، كلمة خندق فاستفسره عن معناها، وهي اسم مفعول ، من كندن الفارسي بمعنى الحفر ، فكانت كنده ، وعربت بان ابدلت الهاء التى لا تنطق قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يأنف من استعمالها بل اشتق منها خندقوا ، فسميت الغزوة بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت فى النطق تميل الى الخاء ، كما هي فى اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند مقرئي المغرب بالكاف المسوس ، ولهذا نطقت خندق.

أما ابدال تلك الهاء « المخفي » كما يسميها الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا فى العربية ، كما كان مطردا ايضا ابدالها جيما ، كما فى كلمة «برنامه» التى اصبحت برنامج ، وقد عقد سيبويه فى كتابه فصلا سماه « باب اطراد الابدال فى الفارسية » فذكر من هذا كوسه وموزه وكربق وقربق ، الى غير ذلك من الكلمات ، التى يكتفي فيها بهذا الحذاء العربي فى نهايتها ، اعني الجيم او القاف .

وطبعا انهم لا يقبلون الحروف التى لا يستعملونها ولا يألفون اجراسها ، فالحرف P ينقلب باء او فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ، والحرف V ينقلب واوا فى الغالب كذلك .

وبعد هذا لابد من انسجام فى الهيئة والامتداد، فتبدل بعض الحركات بغيرها او تحذف بعض الحروف التى تتعدى الكلمة طورها فى العربية ، ان لم تحذف منها تلك الحروف ، فى الغالب ايضا ، ولم يتحملوا هذا للاضطرار ، بل اخذوا كلمة «جلاب» وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب فى القديم ، مسألة التعليم بمدلولنا ، ولم تكن مشكلة التعريب كما فهمنا ، فالقضية تهذيب لفظي بوسائل فى غاية البساطة .

لما ترجمت العلوم الى العربية ، اتخذ فيها ما كان معهودا من ذي قبل ، فقيل ، فلسفة فى

Philosophia وفيلسوف Philosophos وقيل ، قاطيفورية Kategoria والسفسطة Sofisikae وايساغوجي Isagoge وغير ذلك من الكلمات اليونانية الاصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر فى هذا حرجا او احراجا ، وقد وجدنا الابهري من رجال القرن السابع يؤلف فى المنطق رسالته « ايساغوجي »

كما عربوا الطوس من	Taos
والزنار من	Zone
والقزدير من	Kassitoros
والابريز من	Ibrizón
وابليس من	Diáblos
والترياق من	Thériaka
والقرطاس من	Chartés
والجنس من	Genos
والاثير من	Esthlós
والاجرومية من	Gramaatika
والزفت من	Asfaltos
والقرنفل من	Karyofyllon
والجبص من	Gypsos
واصطفلينة من	Staflinos
والاسطول من	Sotolos
واسطرلاب من	Astron-lambauo
والدرهم من	Drachmé
والقادوس من	Kados
والاطلس من	Atlas

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرومية ، ليست منسوبة الى ابن آجروم المغربي، كما يتوهم ، فان القضية اتفاقية ، وكثيرا ما يقع هذا الاتفاق فى اللغات .

هذه امثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ، اما الآن فقد تعقدت الحياة وتعاقبت المخترعات وازدحمت فى هذه الدنيا المخلوقات ، فاصبحت وكأنها دار تسكنها عائلة واحدة ، لابد من التعارف التام فيها والاتحاد فى مدلولاتها ومزاولة كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فصارت مسؤولية اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستنفد كل ما فى طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا ؟

نعم ، هي قادرة ، لو مكناها من قدرتها ، ونفسها بطول الانفاس ، ان لم نكبته فيها .

والعربية ، الى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتمل كذلك ما نطلبه من معان فيها ، ان كلماتها لا تنفد ، بما فيها من اشتقاق وخيالها بحمد الله خيال خصب ، يسعفها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، ويسعفها بهذا التداعي الذى تتولد منه الكنايات ، ولا يبخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسلة ، ثم النحت .

لقد تقدمت فى الاشتقاق ، كلمة « خندقوا » من الخندق ، ولنا أن نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة فى المادة العربية نفسها ، فتسعفنا فى الافعال بأنواعها واوضاعها ، وتسعفنا فى الصفات بأنواعها كذلك واوضاعها ، وتسعفنا فى اسماء الزمان والمكان والمصادر على اختلافها ، كما تسعفنا الكلمة العربية ، عند الاحتياج الى نسلها من اولاد واحفاد

هذا الاشتقاق الطليق، لا نجده فى غير العربية ونجد امثلة من البواقي فى غيرها ، مثل ما نجد فى الفارسية والتركية والفرنسية ، ازاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعا بالتفاح الذى اضافته الى الارض ، فقالت الفارسية « سيب زمين » والتركية « ير الماسي » والفرنسيةPomme de terre

وسمت الاسبانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » اي قرد ، كما سمت الآلة التى ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » اي الهر ، لانها تنشب مخلبها فى جانب السيارة ولم تأنف ان تسمى بالبق « Chinche » المسيمرات التى تثبت الورق ونحوه .

وقالت الانجليزية للقطار السائر تحت الارض Underground اي تحت الارض ، مجازا مرسلا، كما استعمل هذا المجاز المرسل فى نحو «سندويتش» « Sanduich » و«كرافاط» « Cravate » وكان الاصل فى هذين انهما اسمان لرجلين استعملاهما .

وأمعن الالمان ، كما نمعن نحن فى الاشياء لنستخرج اسماءها ، بدقة وطبق الاصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم Wasserstoff

فركبوا الاسم من كلمتين Stoff اي جوهر ، و Wasser اي ماء ، فصار الاسم هكذا ، الجوهر المائي ، او جوهر الماء (كما في الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيراً من العنت . اضطروا معه ، الى تركيب اسم لمسمى واحد من كلمتين او كلمات ، في بعض الاحيان ، فلا يكتفون غالبا بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقبل ان نأتي بأمثلة من العربية لهذا النحت . نرى ان نقف وقفة قصيرة ، عند اصله اللغوي ..

فالنحت اصله ، النشر والقشر والقطع في الصلب من المواد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من قطعتين ، كما ينحت النجار ، خشبتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الاصل ، كالنحيتة التي تنحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النحيتة هي المعروفة عندنا باسم الجباح ، ومن هذا قول الاعشى :

لست منتهيا عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما اطت الابل

اما النحت في الحجر ، فمنه قوله تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين »

هذا ما يتعلق ، باصل المادة من اللغة .

واما معنى النحت في الاصطلاح ، فهو صوغ كلمة من كلمتين فأكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب كلمة من كلمتين ، مما تناوله النحاة ، في عدة ابواب من كتبهم . وفي الالفية نجد التعرض للتركيب المزجي، في باب العلم، وباب ما لا ينصرف ، وباب النسب ، كما نجد الاشارة الى المركبات عامة في ابواب غير هذه .

وجملة القول ان النحو تعرض للمركبات من الاسماء الا ان تعرضه هذا كان لمجرد الاحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليها في الجملة .

نعم ان « الكتاب » لسيبويه لم يقف عند تطبيق الاحكام ، بل وقف عدة وقفات، كان منها ما يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللغة . وموقفها من طبيعة الاشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعنا هذا ، مثل « باب الحكاية التي لا تغير فيها الاسماء عن حالها » فالتركيب اذن معروف بين كلمتين عند النحاة ، قديما وحديثا .

اما النحت بهذا الاسم فقليلا ما يتعرض له النحويون . ومن هؤلاء الخضري ، اذ يقول فيه « وهو ان يختصر من كلمتين فاكثر ، كلمة واحدة، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الاولى بتمامها بالاستقراء ، خلافا لبعضهم ، ولا الاخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعمم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار كلمة من كلمتين او اكثر ، والنوعان معا موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وان كان بعض منها يميل الى التركيب اكثر مما يميل الى الاختصار ، على عكس العربية . كما سنرى :

تقول العربية « البسملة » و « الحمدلة » و « السبحلة » و « الحوقلة » و « السمعلة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و «سبحان الله » « ولا حول ولا قوة الا بالله » و «السلام عليكم » ، كما تقول « الهيللة » و « الحيعلة » . ويزعم ابن فارس ان كل ما زاد على ثلاثة ففيه نحت ونقول « التحبيذ » كما نقول غير هذا من جمل عديدة ، ونشتق من ذلك الافعال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا ايضا مما تمتاز به العربية وتفضل على غيرها ، فان باقي اللغات ، تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتقف عند هذا الحد ولا تتعداه غالبا فهي في ذلك تلتزم ما التزم — غالبا — في اسماء الافعال والاصوات من العربية ، وهذا الباب ايضا ، مما توسعت فيه العربية ، بخلاف غيرها .

مثلا ، نجد الالمانية تمعن في حقائق الاشياء، وتحاول ، مثلنا ، ما امكنتها الحيلة ، ان تدخل المعاني الى لغتها ولا تدخل اليها الالفاظ ، سواء منها ما كان مفردا وما كان مركبا ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقي اللغات الاوربية ، بل اشتقت لها من مادتها الالمانية كلمة سرد Gescichte ولكن المؤرخ Historiker والوصف hietorisch فهي اذن لم تبق حرة طليقة وكذا الامر في المركبات،

وتقدم انها سمت «الهيدروجين» باسم أصل الماء او جوهر الماء ، هكذا Wasserstoff ماء Wasser ومادة Stoff مركبين وهي فى هذا قد استعانت بأصل الكلمة اليونانية hudór اي ماء ، و gen اي اصل من مصدر genna-ein فحلت مشكلتها ووقفت عند هذا الحد بالرغم من أن لها فى لغتها روافد عديدة ، حيث انها تحتوي على عدة لهجات تغنيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فاننا بصدد العربية ، وموقفها من عملية النحت الذى عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ كلمتان وتنحت منها كلمة آخذة منهما جميعا» فقد راينا انها تجمع بين الطريقتين فيه ، والقدامى حاولوا احصاء المنحوت فىالعربية ، فوقف بعضهم عند بضعة عشر من امثلته ، وآخرون لم يتعدوا او لم يصلوا بها الى المائة .

غير أن ابن فارس جرى بعملية النحت اشواطا، قارب بها نحو الألف ، حيث يرى أن اكثر الرباعي والخماسي منحوت من كلمتين .

والواقع ان هذا العدد لا يعنينا بقدر ما يمكننا من الحرية فى عملية النحت ، الذى اصبحت الحياة المعقدة تاح علينا فيه ، واصبحت الاجناس البشرية، تتقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى الدول عامة أو على مستوى جماعة منها او على فكرة من الافكار ، بعد المخترعات العديدة ، التى قد تتطلب مئات الاشياء وآلاف الأدوات ، وكل ذلك لابد من تسميته مركبا بعد ان كان مسمى مفككا او على انفراد أجزائه ، فكان الاتوموبيل والتيلفون والتلفراف ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الاشياء تعد من ابسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا بالديموقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ، وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت لها حلا فى اللغات ، فكيف بنا الآن أمام المخترعات الفضائية التى تتألف من مئات الاشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فانا من استعراضنا للوسائل التى تستعملها العربية فى تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذى يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى فى منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية فى ضروريات الكلام ، فهي فى التصريف والنحو، وضربنا لذلك أمثلة باللغات الاجنبية ، وهي تعم الجميع .

ومن تلك الامثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعو الضرورة، فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها . وبذلك ينشأ المترادف ، كما ينشأ بالترف والمعرب وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن نأتي ببعض الامثلة التى هي فى العربية مقابلة لتلك التى ذكرناها من غيرها .

فمن الاضافة وجدنا قوس قزح واكسير الحياة ، وحب العزيز فى مصر ، وحب الملوك فى المغرب ، ودار الصنعة ، وبيت المال ، ودار الثقاف بالمغرب . ومن النسب : اليماني والهندي فى الفصحى ، وفى معناه الجديد فى عاميتنا ، كالكومية والوزانية فيها ، والمهلبية بالشرق والمنصورية بالمغرب ومن الاشتقاق ، كالنشيرة ، بمعنى ما يعرف الآن باسم « الفاتورة » ويصح ان نضع فيها « النفالة » أيضا ، وكلتاهما للمفعولية والاخيرة « النفولة » . ومن الاستعارة كيد الدهر ، وراس الكلام ، ومرآة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن السعادة ، ودمدمة الشقاوة ، و « طعام الاثيم » و « العزيز الكريم » تهكما . ومن المجاز المرسل ، شرب الكأس ، (ولا بأس بالجرسى Jersey) والتكلم مع الدار ، وجعل الاصابع فى الاذن وعصر الخمر ، والبرتقال للفاكهة المعروفة، ومن الكناية أهل الحجر والمدر والوبر، وبيت الماء، وأهل الدار، وعريض القفا، للحمار، كما فى حديث من فهم الخيط الابيض والاسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكفف وخفة اليد ... اما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خليل التركي استعمله كثيرا ، فى مختصره المعروف ، وقلما يخلو منه باب من ابوابه ، وهذه امثلة قليلة من ذلك : « بكالعزى » فى اليمين ، « فى كسبيل الله » بالنذر « من كقاعد » فى الجهاد ، « فى كافريقية » بالنكاح « لا بكاعتراض » فى الخيار منه ، « من كابل» فى الصداق ، « عند كأمها » فى نكاح التفويض ، « علي كجدار » فى وليمة البناء بالعروس ، « ولو بكتقويم » فى الطلاق ، « وان بكاحرام » فى الارتجاع، و « بكمشيئتها » فى الظهار ، و « وفى كالثلاثة » ـ الايام ، وفى التطوع او غيره ان خرج ـ «لكرباط» فهذان مثالان وردا فى رفع زوجة المفقود، و«نبذ بكدباء»

فى الطعام المباح ، وهو كثير جدا . ويكلف الشراح تأويلا يدعونه بحذف المنعوت والواقع ، ان الصنيع التركي ، هو الذى شجع هذا التركي العظيم على استعماله ، المذكور ، وهو الذى جعل شوقي التركي يقول :

ودخلت فى ليلين فرعك والدجى
ولثمت كالصبح المنور فاك

فهذا التشبيه « كالمنور » هو المفعول به على الحقيقة ، كما ان ما قام مقامه ، فى قوله : « ما يشبه الاحلام » هو الفاعل فى البيت :

يا جارة الوادي طربت وعادني
« ما يشبه الاحلام » من ذكراك

وكذلك نجد لشوقي هذا الصنيع فى نحو قوله :

ولا ينبيك عن خلق الليالي
كمن فقد الأحبة والصحابا

فقد جعل الفاعل هنا ، المشبه به اداة التشبيه، ولا شك انه نظر فى ذلك الى قوله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » .

فالفاعل فى الواقع المشبه به اداة التشبيه « مثل » اذ هي فى المعنى لا تستقل بنفسها ، وان كانت فى الصناعة فاعلا بنفسها ، مما اهلها فى التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، ان احتاج الى هذا التشبيه ، احتال عليه ، فقال : « ذهب الاصيل » و « لجين الماء » و « حمار الشيخ » ونحو ذلك ، مما اضيف فيه المشبه الى المشبه ، وقد استعمله جدا ، ابن خفاجة ، زيادة على الصورتين الاوليين خصوصا فى قصيدة له مطلعها :

يا رب ليل بته
وكانه من وصف شعرك

ومن الوسائل التى تتوسع بها اللغات فى دلالاتها ، وسيلة التعميم والتخصيص ، فالخاص يستعمل فى المعنى العام والعام يستعمل فى المعنى الخاص .

وقد تنبه الاصوليون وعلى راسهم الشافعي الى هذا فى النصوص الشرعية بصفة خاصة ، الا انهم توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الاحكام ، ولم يكن مناط الدلالات ، بمعنى انهم اقروا بعض العمومات فى دلالاتها اللغوية وان خصصوها فى احكامها الفقهية، فجاءتها هذه الخصوصية بنحو الاستثناء الذى اجاز فيه ابو حنيفة وغيره ان يتاخر عن المستثنى منه بمدة السنوات ، او نحو الصفات التى تقصر الاحكام على موصوفاتها ؛ وهكذا مما يطول الكلام فيه ، وحسبنا ان نجد له نماذج فى باب اليمين بمختصر خليل عند قوله « وخصصت نية الحالف وقيدت » الى آخر الباب وفيه ايضا تعميم للخصوص والعام الذى اريد به الخصوص وهو الغالب .

ثم كان البلاغيون والمناطقة يعالجون هذا النوع من التوسع ، فالبلاغيون حينما امعنوا فى المجازات المرسلة وجدوا من نماذجه ما يتصل بهذا المجاز ، لدرجة ان نشا الخلاف بين الاصوليين فيه ، هل هو جميعا من قبيل المجاز هذا ؟ والمناطقة نظروا اليه وهو يقوم بمهمة الدلالة اللغوية ؛ فكان تناولهم فقهيا لغويا فى الصميم ؛ كما نجد فى السلم اذ يقول :

دلالة اللفظ على ما وافقه
يدعونها دلالة المطابقة
وجزئه تضمنا وما لزم
فهو التزام ان بعقل التزم

وقد توسع فقه اللغة الحديث فى هذه الدلالات وسلط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الاجتماعي والجنسي وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصر المنطقي .

ومهما يكن فالعربية عرفت فى الجاهلية هذه النماذج التى تتراوح بين التخصيص والتعميم ، وتوسع فيها الاسلام فالشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة والوضوء والكفر والايمان والشرك والجهاد والتكبير والتحميد والركوع والسجود وغير هذه من مئات الكلمات التى جدت دلالاتها فى الدين الجديد ، كلها من هذا القبيل .

وقد الف الراغب الاصفهاني كتابه القيم « مفردات غريب القرآن » فارجع هذه المفردات الى عموماتها او خصوصاتها فى اصل الاستعمال اللغوي، الذى لم يقطع الاستعمال الجديد فى الاسلام صلاته بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، نجدها فى آية واحدة تمد يدها الى عمومها فتقول « خذ من اموالهم

صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل فى معناه من الستر ، فعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث اعجب الكفار نباته » اي الزراع ، ومن هذا الستر تكفير السيئات الذى ورد منه فى القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا »

ومن العجيب ان نجد هذا الستر فى الكلمة باللغات الاوربية ، فى مثل Cover الانجليزي و Cubrir الاسباني ونحو ذلك فى اللغات الآخذة من اللاتينية كالايطالية والرومانية وغيرهما .

ومن الكلمات التى صارت تجنح الى التخصص كلمة الانتقاد ، فهي كذلك فى العربية وكذلك اختها Critic فى غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصيص فى عصرنا ، كما نجد ذلك فى تسمياتها الطيارة والدبابة والفواصة والعوامة والمدمرة والمدفع والحافلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعي والنجدة والانقاذ والامين والشوكة والسكينة ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها أم التخصص لهذه العربية ، ولا افهم مطلقا من يقولون ان دلالات الالفاظ فى العربية لم يطرأ عليها تغيير فهذه القولة تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور فى الدلالة ، حاصل حتى فى هذا المتخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفوا فى عبارتنا تطورت فى مدلولها عما كانت عليه بالامس ، فكلمة « المتخصص » الآن لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص فى فقه اللغة العام وهذا فى فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتقاقات أو التاريخيات أو ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص فى امراض الكلى وآخر فى لين العظام وآخر فى الجهاز الهضمى او البولي او السمعي او التنفسي او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على التخصص فى الاسنان والعيون ، مما اصبح مستقلا بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاسنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالعين اليمنى وآخر بالعين اليسرى ، وطبيب الآن كذلك .

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة المتخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الاسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفى غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم الميم ، كما سنرى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، بما لا علاقة لهابمادة الطيران ، بل هو من Pilotear العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviador فى الاسبانية، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الآن جنح الى المعروف بكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري هؤلاء فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمي الطيار ، ربان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجاراة ، خصوصا وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهي الطيار ، كلمتين ، وهما ربان الطائرة او ملاحها ،، زيادة على أن العربية لها فضل السبق فى خلق كلمة طيار للآدمي ، وقد مضى عليها اربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه .

نكتفي بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المخصص ، ونتوجه الى مقابله ، الخاص المعمم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تعمم بالاتيان الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه فى السفر ليهديهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكذب قومه ، بل صار الورود عاما فى كل آت مادي او معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلاليين فيما مضى عندنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يدعى استنباطا ، ولو لم يكن المستخرج نبطيا . ثم زاد التعميم فى كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولازمها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما سيقع لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد.

ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر فى الفارسية ، وهي بمعنى المرتب

الشهري ، ثم اصبحت تطلق على كل مرتب ، شهريا كان أم غير ذلك .

ونظيره كلمة مشهرة التى دخلت الفارسية من العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على كل مرتب شهريا كان أم غير شهري .

ومن ذلك كلمة كفل ، وقد جاءت الي عفوا ، فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذى يوضع على ظهر البعير فيعقد طرفاه ويلقى مقدمه على كاهل البعير ومؤخره على عجزه ، فالاكفال غير الاحلاس ، كما فى الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتمال مادي ، ثم معنوي كالنفقة والقيام بالاشياء عامة ومضاعفة الجزاء ، وصارت الكلمة تجنح الى المعنويات فيقال تكفل فلان بالامر ، اذا تعهد القيام به .

وهكذا تتعمم الكلمات فى مدلولاتها التى كانت خاصة ، بالكثرة التى جعلت اللغويين ، يدعون أن الكلمات فى نشأتها كانت خاصة ، وما تعممت الا اخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فأدرك الكليات بعد ادراكه للجزئيات ، وهو ما أدركه المناطقة عموما ، فقال السلم مثلا :

من اوليات مشاهدات
مجربات متواترات

الى آخر اليقينيات التى نشأت من المشاهدات

هذه امثلة من العربية ، اما غيرها ، فكلمة Arrive الانجليزية ، كان معناها الوصول الى River اي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا وكلمة Salary كان معناها النقود التى تصرف لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما يدفع للاجير او الموظف عامة وصارت تجنح الى المرتب الشهري وهكذا نجد فى عدد من اللغات يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام خاصا فى معنى جديد غالبا واللغة كائن حي نشيط

ومن هذه الوسائل التى توسلت بها العربية فى توسعها اويمكن ان تتوسل بها الاشتقاق من الزمان والمكان فالزمان ، كالصباح والغداة والمساء والعشاء والضحى والقائلة والليل

فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ، كما قال الافوه الاودي :

اصبحت من بعد لون واحد
وهو لونان وفى ذاك اعتبار

ومن المساء ، كذلك . مما نجده فى قول ابي تمام :

وما كان الا مال من قل ماله
وذخرا لمن امسى وليس له ذخر

ومن الغداة كما فى قول الفند الزماني :

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

ومن الضحى ، قول عمر بن الخطاب : « اضحوا عباد الله » اي صلوا بالضحى

ومن العشاء ، قول الحطيئة :

متى تاته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

فمعنى تعشو تراها ليلا وتقصدها فيه عشاء .

ومن القائلة ، الحديث « قيلوا فان الشياطين لا تقيل » .

ومن الليل ، قول ابن حبوس الفاسي :

والكل فى علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم أن ليلا

وقالوا كذلك : اليل فلان اذا دخل فى الليل ، والليل الكروان ، لتغريده ليلا ، ولهذا اسمه بالانجليزية Nightingale ففيها هذا الاشتقاق من الليل كذلك ، كما اشتقت من الصباح Morning واشتقت الاسبانية من الصبح Madrugar فالاول من Morn والثاني من Madrugada التى يرادفها Alba وهو اول ضوء للنهار ، كما اشتقت الانجليزية من المساء ايضا Evening فهو مشتق من Eve اي انتصاف النهار ، ونحوه موجود فى الاسبانية ، وان كانت قد جنحت به الى معنى ما تؤديه « ظل » فى العربية ، وهو تطور فى الدلالة ، من القيد الى الاطلاق ، او من التخصيص الى التعميم ، كما حدث فى العربية ، للافعال السابقة ، اصبح وامسى واضحى وحتى غدا ايضا ، فصارت من الافعال الناقصة ، وهي فى تلك الامثلة السابقة افعال تامة ، والا لما دخلت واو الحال على ما ندعيه خبرا فى غيرها ، كما راينا ، وكما فى قول الفند المذكور :

فلما صـــرح الشـــر
فأمسى وهو عريـــان

بل ان « ليس » التى ادعي فيها النقصان دائما، وردت تامة ، كما فى قول النابغة :

اذا ذهب العتاب فليس حب
ويبقى الحب ما بقي العتـاب

وهذا مبحث آخر ستناوله عند تناولنا للغة فى تراكيبها ، اما الآن فنحن بصدد مفرداتها

ومن الاستعانة بالزمان ، قولنا الغداء لطعام الغداة ، والعشاء لطعام العشاء

ثانيا ـ المكان ، نقول : انجد فـلان صـار فى نجـد

واسهل صار فى سهل
واجبل صار فى جبل ، قال ابن حبوس الفاسي:

وتفجرت عيـن النباهـة بعدمـا
قد كان خاطرها اكـل واجبـلا

اي انقطع ، والاصل فيه صعد فـى الجبـال واوقل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوقل نفسه من هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكـان

واتهم صار فى تهامة
وايمن صار فى اليمن ، وكذلك ، يامن
وعرض صـار فى العـروض ، وهـي مكـة والمدينة ، والطريـق فى عـرض الجبـل ، قال عبد يغـوث :

فيا راكبـا اما عرضت فبلغـا
ندامايَ من نجـران الا تلاقيـا

وهكذا استفادت العربيـة من الزمـان ، كمـا استفادت ايضا من المكان ، فقالت اعرق وبدا وتمدن وغار وابلد واعمن واشأم واجنب واشمل وشرق وغـرب .

فمن نجد ، وغور قول الاعشى :

نبي يـرى ما لا تـرون وذكـره
أغار لعمري فى البـلاد وانجـدا

ومن العراق وتهامة وعمان ونجد ايضا ، قول المزق العبدي :

فان تتهموا انجد خلافـا عليكـم
وان تغمنوا مستحقبي الحرب اعرق

ومن الشام ، قول الشاعر :

سمعت بنا قيل الوشـاة فأصبحت
صرمت حبالك فى الخليط المشئـم

ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بـدا جفا » أي من سكن البادية اكتسب منها الجفاء

ومن المدينة ، قولهم تمدن فـلان ، اذا سكـن المدينة .

ومن البلد ، قولهم أبلد بالمكان اتخذه بلدا

ومن الجنوب ، قولهم أجنب القوم ، اذا دخلوا فى الجنوب

ومن الشمال ، قولهم : اشملـوا ، اي دخلـوا الشمال .

ومن الشرق ، قولهم : شرق فلان ، اذا اخـذ فى ناحية الشرق .

ومن الغرب ، قولهم : غرب ، اذا اخذ فى ناحية الغرب ، قال الشاعر فيهما :

سارت مغربة وسـرت مشرقـا
شتـان بيـن مشـرق ومغـرب

وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكـان ، استفادتها من الزمان استفادة واسعة، وهو ما لا نجده فى غيرها ايضا كذلك فقد نجـد فى الاسبانيـة من الانـدلـس Andaluzada و Andalucismo فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية اللهجة كذلك ومـن قشطيليـة Castillanizar ، والمراد بها الاسلوب المنسوب لكستيليا يلقن للاجانب عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا نكاد نجد هذا الاشتقاق فى غير هاتين الناحيتين ، وطبعا لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك فى الانجليزية التى تتحرك فى اشتقاقها بمساعدة فعل الكينونة ، ان لم يكن هناك مصدر تعتمد عليـه مباشـرة ، وكذلـك الشأن فى الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » ماخـوذ مـن « River » ولكن قواميسهـم في Etymology تذكر ان الانجليز أخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت: Caminar مـن Camino ولكن الملاحـظ فى هـذه الحركة اكثر من الصيرورة فيه ، ولهذا لم نذكـره

في هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطروق ، فهو مأخوذ من الفعل لا الفعل مأخوذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعيل من الطرق بمعنى مفعول منه .

وبالجملة فالزمان والمكان لهما اهمية خاصة في العربية ، ولذلك الف المرزوقي الاصفهاني من رجال القرن الرابع واوائل الخامس كتابه القيم « الازمنة والامكنة » وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سأل احدنا عن هذا الكتاب ، فأجاب بأنه لا يعرفه ، ينحى عنه بالتجهيل والتقريع . لان مثل هذا الكتاب ، يجب ان يكون كل طالب في العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فاننا زيادة على تلك الوسائل التي ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نجملها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود، والتسمية بأحمر ثمود، والاعتماد على اللون، نجده حديثا في مثل البطاقة الرمادية والبطاقة الخضراء ، المعروفتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، في نحو نحو «الربع المجيب» و «الربع المقنطر»،وعند اصحاب الهندسة ، كالمربعات والمثلثات ونحوهما ، وقد تتعاون الالوان والاشكال والاصوات،مكما حصل هذا في « المربع الاحمر » لاصحاب زيت لوسيور . وقد ذكر النحاة امثلة لذلك ، في نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وقب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

- وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وقفة طويلة ، يعللون اشتقاقها .

اما النحاة ، فعقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان اللغويين القدامى والمحدثين ، والفلاسفة في القديم ايضا ؛ استرعى نظرهم

ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ اللغوية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعنينا، ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما نستفيد منه ، وهو كائن في اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد راينا في اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما في تسمية « الطبيلة » باسم طمطم Tomtom وتسمية لعبة « البينكبونك Ping-pong و Croquet ربما تكون كلمة « التراكتور » من هذا القبيل . وعلى فرض انها ماخوذة من اللاتينية ، فان هذه قد حاكت الصوت ، فيما سمت به قديما ، وقلدت في ذلك حديثا . قال لي طالب اسرائيلي ، كان يحضر علي درس الفارسية ، اني ادركت تماما معنى كلمة « كرفتن » اي القبض والاستيلاء ، ولا شك ان ذلك كان في خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الاسرائيلي اكثر من غيره .

الاساطير ، فتسمي طائرة من الطائرات ، مثلا، باسم العنقاء ، او آلة هائلة باسم الغول ، وقد فعلت هذا انجلترا فسمت الآلة الرافعة للاثقال العظيمة باسم Bogey ومعناه الغول ، واخيرا وجدنا اميركا تلتجيء الى اساطير اليونان ، فتسمي باسم الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالارقام بعد، فيكون ابولو واحد واثنين الى خمسة عشر ، وهكذا دواليكم ، وهي التي سمت طائرتها المدمرة Phantom اي بعبع .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الاشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، او يضفي عليها لونا ، كالحمى الصفراء والاسودين للتمر والماء او يجعلها تصيت كنداء المجهول ، وهذا في الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شهر صار يؤدي ما تؤديه الاسماء المعتادة فمن منا يجهد فهمه في ادراك « صوت الضمير » و « دائرة السوء » التي جاءت في القرآن الكريم ، وادركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت « رؤوس الشياطين » وقد جاءت في القرآن ، وادركت « انياب اغوال » في شعر امريء القيس :

ايقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كانياب اغوال

وبعد هذا كله فللغة ان تخترع ، وهذا من علامة حيويتها واستجابتها الى كل ما يجد في الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الاسلام بجديد فاحتاجت اللغة الى جديد في اللغة ، فاخترعت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير اهوالها وعذابها او نعيم جناتها ، كالسلسبيل ، والصعود ، وسقر ، وسجين ،

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعي كونها معربات .

وهذا ليس بدعا في اللغات عامة ، وعندنا كلمة Gaz تعيش في كل مكان . ولا يعرف لها اصل البتة.

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل سأله عن اسم المصنوع . فسأله هذا الصانع : كيف تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم رسوما متكسرة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ، ودعاها « كيكريكو » ورسم الى جانبه رسما آخر ، عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاها « امبو » ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف الجنسيات واللغات وسألهم : اي الرسميين « كيكريكو » فكلهم اجاب بانه صاحب الزوايا الحادة ولا شك انهم يدركون العلاقة بين تتره مك التركية والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » . واعرف سيدة اخترعت كلمة « زوطوطو » فسارت الكلمة في الوسط العائلي ومن الكلمات المخترعة كلمة « روكوكو » Rococo وهو من اسماء الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيزداد عليها . ولن تقف مكتوفة ، بل سيشتق منها فيما بعد ، شأنها شأن باقي الكلمات في العربية . سأل الضيف صاحب المنزل عن طعام ، قد اتى عليه ، فأغاظ صاحب المنزل الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فأجابه بغيظ : « الكجدور » فقال له : « على ش ما كجدرتوشي منو بزاف »؟ وهكذا اشتق من الكلمة الغريبة عليه، بمجرد فهم مدلولها ، كما اعتقد ، وهي طبيعة العربية الام الولود ، التي تمكن اولادها من حرية التصرف ، فيشتقون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره، كما يشتقون من da le المركبة في الاسبانية من فعل أمر من صدر dar اي الاعطاء ، والمفعول فكان التعبير dale اي اعطه ، ولكننا قلنا دالا عليه ويدالي الى غير ذلك من كل ما يدخل الى العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعريب في مفهومه القديم والحديث والوسائل التي تمكننا من سد الحاجة التي نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ، وما تتطلبه حضاراته المختلفة .

نلقي النظرة الاخيرة على ميدان التعريب ، يكون بهذا تلخيص ما تقدم وتبسيط بعض الجوانب منه ، بأمثلة منها ما يعايشنا ويسايرنا في تنقلاتنا اليومية ، ونحن في مضمار الحياة ومعترك الاحداث .

ولا شك أن امامنا مشاكل متنوعة في هذا المضمار وذلك المعترك . فهنالك العامية ، التي يجب ان نأخذ بيدها ونسمو بها الى مستوى راق . بدل ان ننزل اليها من هذا المستوى الراقي . وهنالك الفن ومذاهبه . كما قيل ، فهو يصور الحياة في لوحاته الزاهية والشاحبة والقاتمة ، برسومه وموسيقاه ، التي اصبحت تتطور مع الايام بأدواتها واصداحها ، الى جانب ذلك الرسم الذي لا يقتصر على المشاهد ، بل اصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التي قد تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبح في عوالم خارقة للعادات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجدانات، بلغات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر طليق لا يعترف حتى بسلطان النفسيات والمسجلات للخطرات الرتيبة ، في سهولة تراد منه او اسلاس ينقاد به . انها الثورة التي يريدها الخيال الجامح في اعلانها المكسرة لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل في غاياته عن غايات الرسم ، وان كان طريقه وعرا ، تكتنفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاوحال عليه ان يفوض فيها فهو على رعونته ، اصبح لا يقل عما عليه الرسم في اطيافه واحلامه ، ووداعته وثوراته .

وهناك الكلام ، وهما كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقلبه من هو كل يوم في شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراته ، وان تضبط دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق والثواني ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل الانسان من اماناتها ، وقد ابت السماوات والارض والجبال ان يحملن هذه الامانات ، كما قال تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه

ان ظلوما جهولا » هو ظلوم عليه ان ينصف نفسه وينصف الناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما يلبي رغبات الافئدة في هوائها. والعقول في مناطقها، والاجسام في علالها واسقامها ، وصحتها وملاذها . من المشاهد والاذواق والمشاعر والاسماع .

فهذا فن الكلام في آدابه ، التي تتولد وتتفاعل في الوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجميعها في تطور مطرد وفي انفصال هلامي مستمر ، وفي استقلال ببيء اصحابها واوطانها ومجتمعاتها وافكارها وثقافاتها ، بعد اللغات ، وقد أصبحت تعد بالآلاف.. واصبح على الانسان ان يفهم كل شيء، وقد واجه في حياته كل شيء ، فخيمت عليه الظلال من كل مكان ، ووجهت عليه الانوار والنيران ، فعلى هذه اللغة ان تتسلح بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل عزم وقوة، فتمثل دورها في جميع المحافل خير تمثيل ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفة التي اصبحت من هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فعليها ان تنسزوي من مسرح الحياة الجديد في جميع فروعها ، حتى « الميتافيزيقا » نفسها ، فمهمانها صعبة في هذا العالم الصعب المعقد ، الذي لا يرحم احدا ولا يحجم عن الاخذ بتلابيب العلماء العظام والفلاسفة الكبار ، فعليهم ان يفهموا وييسطوا وعليهم ان يقنعوا العقول وهي في زيفانها وصراعها للايكترونية العملاق .

وهذا العلم لم يبق بالرتابة او القداسة التي كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هوادة فيها ، منذ بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب الاخيرة ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت الدنيا تميد بها ، واذا بالافلاك والنيرات تناجي الانسان فيطالب العالم بأن يحمله الى هذه الكواكب والافلاك ، فلا يجد المسكين مناصا من ان يستجيب لمطالب الانسان الجبار ، فيبني له المراكب الفضائية ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتكفل بالعودة به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب ويطوف في ارجائها ويحمل من متاعها ويستعمر من بقاعها ، فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه العوالم العليا .

فالجغرافي عليه انيخترع ما يشبه علمه لهذه الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسما خاصا لهذا العلم، والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ، ويطبق على ذلك قواعد ما يشبه علمه . كما عليه ان يخترع اسماجديدا لهذا العلم ، والكيماوي عليه ان يحلل عناصر ما في هذا الكون او الاكوان ، ويسمي تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المداولات قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهؤلاء ان يقولوا لعرائس تلك الافلاك :

صوني جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الجسم روحاني

او فابتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الفاني

لان هذه العرائس تاوي فعلا هذه الافلاك فلم تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان هتك استارها وكشف خدورها فتجلت مفاتنها للابصار ، وانبهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذي ستتلوه اكتشافات ، قد تطلب آلاف الآلات والادوات ، فعلى اللغة ان تسمي كل ذلك بدقة وتفهمه للافهام وليس بقادر على هذا الا اهل العلم انفسهم، وقد وضعت اللغة امامهم وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز وكالتشبيه وحكاية الاصوات والنحت والتخصيص والتعميم وكالاستعارة من اللغات بعضها من بعض وكالاختراع للكلمات وخلقها من العدم ، اذا لم نجد في هذا الوجود ما نستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما الى ذلك او مما يسعفنا بمماثلة ما ولو في الوهم او الخيال الذي يساورنا او يخلف لنا من اساطيره وخرافاته .

لقد سمى آباؤنا سائل الكلونيا، باسم «مسيكو» فاسعفتهم الرائحة ، واخترع « شيكسبير » اسم « دولار » قبل ان يكون دولار وسمى آباؤنا ايضا الدراجة ، باسم « عود الريح » معتمدين على السرعة في الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووفقوا كل التوفيق (وفي الفارسية « دوجرخه » اي فلكتان) اذن فالعزم اولا هو ما نتذرع به ، في مواجهة التعريب ، وفي القديم واجه القوم ، فما وهنوا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم في تدوين الدواوين ، ونقل العلوم المختلفة والآداب المتباينة والعقائد المتضاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك اقدر منا في العربية ولا افهم منا لتلك العلوم

والآداب وغيرها ، بل كانوا دوننا فى ذلك ولا شك ، الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا تتوفر عليه ، وهو الشعور بالعزة والكرامة وانهم سادة يجب ان يخضعوا لهم ؛ لا ان يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا لغتهم ؛ فى يسر ؛ كل ما وصلوا اليه أو اتصل بهم .

هذا هو موقفنا الذى يجب ان نقفه ازاء هذا التعريب ، وهو موقف ؛ لا محالة ، يدعو الى التخصص ، بعد تلك العزيمة ؛ والى النهل من العربية والتعمق فيها ، حتى يمكن كل عالم او صانع او مغن او متفلسف ، ان يتولى ما يزاوله او يعانيه بالتعريب .

وعليه ، فالطبيب يتولى تعريب ما يتصل بطبه. والمهندس يتولى ما يتصل بهندسته ؛ والمتفلسف والمغنى ؛ كل لما يتصل بهاويته والصانع كذلك يعرب ما يتصل بصناعته ؛ وقد مكناه من ذلك بالتعليم ؛ الذى يسير فى ركبه هذا التعريب .

ولا نهمل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود الى قاموسه الحي ، الذى يمدنا بنحو « عود الريح » و « مسيكو » و « والصدفة » و « الكسكاس » و « غويلة » و « ترابية » ، وغير هذه من الكلمات التى تخضع للعربية وقوانينها ، كما نتلقى منهم من غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar الاسبانية والكرو من Cigarro الاسبانية ايضا الا اننا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا نتركها لمتنها هذا ، وفى آخرها واو قبلها ضمة لازمة ، بل تختم بهاء مثلا ، كما فعلنا فى ينيه ويليه وسيبويه ، وسميت الصورة السالبة باسم « عفريتة » فى عامية الشرق ، فلنا ان نستعير حتى من العامية .

كما نستعين برصيدنا فى الخارج فالاسبانية اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون وعنها اخذتها باقي اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة الفارسية فالتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب فنجارى اللغات الحية التي استعارت منا ولنا الفضل عليهم ؟ ربما تانف من هذا ، فلم لم يانف غيرنا ان يسموا طبيب الاسنان بالسني Dentiste كما فى اللغات الاوربية والتركية ؟ وعلينا ان نجاري غيرنا فى ذلك، وقد استعملت هذه التسمية « دنتيلة » فى الاندلس وان كانت فى الاحتفال يبدو الاسنان ، وادعى بعضهم ان لها اصلا فى الفصحى ، وتوقف الزبيدي هنا .

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين « مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية « تهلكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب » Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا نستفيد من وجودها فى الخارج او نختارها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها فى تعريب اللافتات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتاب والمثقفين حقا والمتخصصين فى العربية تخصصا علميا . فلا تترك الصحافة فى ايدي من لا يحسن لغتها من المتطفلين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك له رسالة فى هذا التعريب ، فعليه أن يختار الموضوعات التى يستسيغها الشعب حتى يقبل عليها فى لغتها ، فتعمل فيه بطريق الايحاء ، وكذلك التمثيل الخيالي ومسرحه فى الواقع افسح من غيره، والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب، اذا احسنا استعمالها واخترنا اصواتها الجميلة والحانها السجية واعددناها بالموسيقى العذبة المؤثرة والاذاعة والتلفزة من اقوى دعائم هذه التعريب، فهي الصوت الذى يصبحنا ويمسينا والمشاهد التى تحيينا وتسامرنا وتناجينا .

اما المدرسة والكتاب فغني امرهما عن البيان، ولابد من الاستمرار والتذكير ، فقد كنت كتبت فى كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صداه فى اذاعة تطوان وفاس ولكن التذكير بهذا انقطع فعاد الناس الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الضلال على علم به مني .

واخيرا ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان يستفيد منه التعريب فى حركته الدائبة بنشاط هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى المفردات فى تركيبها ، أو تعريب الاساليب ، ان صح هذا التعريب .

وموقفنا هاهنا لن يطول ، لانه لن يكون معربا بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبها ، وليس فى الامكان ابدع مما كان فى بنيتها ، وارتفعت الاقلام عن تسطيرها وجفت الصحف بما فيها .

الا ان هناك ، جوانب لا تمت الى الخلق والابداع من جديد ، بل هي فى الواقع محافظة على ذلك الكيان اللغوي الذى هو بالنسبة اليها القلعة العتيدة والحصن الحصين ، الذى يجب الدفاع عنه الى آخر قطرة من دماء هذه اللغة الأبية المستميتة الصامدة .

ان العربية كما قلنا ، كريمة كأصحابها مضياف تكرم نزلاءها ، فوجود مائات او آلاف من الكلمات الدخيلة فيها لا يهدد حوزتها ، بل بالعكس يزيدها قوة ويكسبها منعة ، فى مواجهات كل الطوارىء .

ولكن العبث بالنظام المتبع فيها ، واحداث الفوضى فى مجتمعها ، هو الذى لا تقبله بحال . وهو الذى يجب الا تقبله ، كما لا يقبله اي عرف من اعراف اللغات قاطبة ، وهي لغات لها كرامتها ونها وجودها الازلي والخالد خلود الدهر .

ونعود فنقول ، اننا لن نطيل فى هذا التعريب التركيبي . وسنقف وقفة قصيرة ، عند بعض الاعراض ولا نقول الامراض التى طرات على هذه العربية فى عصرنا المريض برجاله ومثله العليا .

فأول تلك الاعراض ، بل أول تلك الامراض ، مع المعذرة ، مرض حل بمستقبل هذه اللغة ، نعم ، حل بمستقبلها مع الاسف ،ولكنه حل بمستقبلها السلبي ، لا الايجابي ، لحسن الحظ ، ولله الحمد على كل حال .

من المعلوم ، ان الافعال فى اللغات ، هي مفاتيح تلك اللغات ، بل هي حياتها التى بها يكون حيوانها ، والحيوان فى الواقع ، ما هو الا الحركة الجياشة ، كالفيضان والغليان والثوران والجيشان نفسه ، وبهذا الاعتبار ، قال تعالى : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » وبذلك تكون هذه الكلمة فى مدلولها الآن قد انحرفت عما خلقت لاجله .

وهذا لا يهمنا الآن ، فقد انتهينا من المفردات ، كما قلنا وعلينا ان نعالج مستقبل هذه اللغة فى افعالها السلبية ، وهي التى تحتاج الى علاج ناجع وسريع.

نقول سوف نفعل ، كما نقول سنفعل ، وهذا الاخير مختزل من الاول ، وكان قد عمل فيه هذا الاختزال ، فقيل سو افعل ، وسف افعل ، واخيرا سافعل ، فوقع الاقتصار على حرف السين وحده ، واهمل الاقتصار عليه مع الواو او الفاء ، وحوفظ على الام الرؤوم « سوف افعل » وهذا جميل فى هذه العربية التى تتجدد وتتطور ، ولكنها لا تتنكر للماضي ، ولا تعق الأمومة والأبوة .

هذا هو الفعل المستقبل الموجب فى العربية ، سلمه الله من كل بلاء ، ودرأ عنه كل اذاء ، فبقي كيوم ولدته امه على فراش الصون والعفاف

ولكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما لا عين رات ولا اذن سمعت بمثله فى غير هذه اللغة الشريفة نسمع دائما ونقرا دائما ، وخصوصا فى صحافتنا المسكينة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » ونسمع ونقرأ فى صحافتنا المنكوبة ، ما هو افظع من هذا وادهى ... نسمع ونقرا :

« سوف لن يأتي فلان » ،، فض الله فم من كان اول الناطقين ، بتلك العبارة الممسوخة ، وهذه العبارة الملعونة من السماء ، لان الله ما انزل بها من سلطان ، ولان كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » فعلمنا كيف نعبر بالمستقبل المنفي « لن تراني » وقابل به المستقبل المثبت « فسوف تراني » .

اذن فاداة الاستقبال فى الفعل العربي المنفي ، هي الأداة « لن » فنقول « لن يسافر فلان » فى المستقبل من الزمان ، ولا نقول «سوف لا يسافر»،، ومن المخجل ان تستعمل هذه العبارة ، فى التمثيلية التى جابت من مصر فعرضت فى تلفزتنا بمناسبة المولد الشريف ، وهي تحكي حوارا كان على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وافظع من هذه العبارة ، هو « سوف لن يسافر » ، فتلك جهالة جهلاء، وعدم اكتراث باللغة، التى ظن اصحابها اليوم ، كأنهم قيل لهم فيها : « تكلموا كيف شئتم » ، وصدق الشاعر :

رايت الحلم دل علي قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي تعدى الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما ابغضه من استعمار، تخلص منه الناس، ولم يتخلصوا من ادوائه العديدة، التى منها هذا الداء الوبيل ، فقد تلقى احد الكتاب الطفيليين ، وما اكثرهم واسمجهم، مثل هذ التعبير الانجليزي I shall not come فقد عليه عربيته المعذبة ، فى قبضته الاثيمة ، فقال : « انا سوف لا آتي » او « سوف لن آتي » ولو امعن جدا فى التعبير الذى سحره ، لقال : « انا سوف لا آتيان » هكذا ، وهو تركيب لا يوجد الا فى الانجليزية والالمانية بهذا النسج وهذا الترتيب ، ولا نعرف له مثيلا فى لغة اخرى غيرهما ، وهكذا نجد

العبارة المذكورة ، تكون في الالمانية

ich werde nicht kommen

سواء بسواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هذا الممسوخ « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا تجعلها تالية لها ، فتقول في نفس الجملة « من نخواهم آمد » فالنون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التي تاتي بالمصدر المرخم وتلحق به اداة النفي ، ثم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله ميه جغم » ويبقى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية، كالاسبانية ، فانها تاتي باداة النفي ثم المصدر المرخم ثم اداة الاستقبال Yo no vendre

ويلاحظ ان هذه اللغات ـ ما عدا الانجليزية ـ تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، باداة الاستقبال ، وانها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تحذف الحرف الموصولي to والالمانية تاتي بالمصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسبانية ترخم هذا المصدر عموما .

ثم انها تتحد في كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما رأينا shall ولغيره will وقد يتبادلان قصد التأكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل في معناه الاصلي ، اذ لا مهمة له في الاستقبال

« We shall become the same. We shall be one spirit »

وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة في الاثبات، وهي « سوف » او ما اختزل منها ، وواحدة في النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان في اصلها ، بنيت على الفتح للازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق Bergstraesse يرى انها مستعارة من الآرامية Saupa ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني افعل في النهاية والغاية .

يقول علماء الألسن ، ان اللغات السامية ـ ما عدا الاكادية منها ـ ليس لها الا زمانان ، ماض قد انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر والحال والاستقبال .

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، او saupa الآرامية على تعيين مستقبلها ، هذا شيء ليس ببعيد في اللغات فالانجليزية ، في غير التكلم خاصة ، والفارسية عموما ، استعانت بفعل الارادة ، الذي ما زال بهما يستقل بنفسه احيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « يريد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، بكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سأفعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل اصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « انا لا اصبح اتيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو «غادي» او «ماشي» او «خصني» او «نحب» التي تستعمل بالعامية كما يستعمل الرواح والود بالشرق

وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسبانية الآتية من اللاتينية في غير العامية

هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما اصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى ان النون ، حلت محل الالف من « لا » للتأكيد ، ومنهم من يرى ان اصلها « لا ان » فكان الاصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ومهما يكن فجميع هذه اللغات ـ ما عدا التركية ـ استعملت النون للنفي هنا ، اما التركية فالميم وهي اخت النون التي طغت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل في العربية ، اذا نفي يكون بلن وحدها ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها في السما
فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعودا
وان تستطيع اليك النزولا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت في اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وابدته في مجلتها « Ibla »

الفصحى لغة القرآن

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليـــون مسلـــم جغرافيا ويمتد اربعة عشر قرنا فى التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندي (القاهـرة)

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل الـــذي حمل لواءه رجال امثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، واحمد زكي باشا الملقـــب بشيخ العروبة ، وعبد العزيز جاويش ، وعلي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، واحمد الحوفـــي ، وغيرهم فى سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقاصها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الآن اكثر من خمسين عاما من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء فى عهد الحماية البريطانية ودعوات فى الصحف وبعض المجامع من اجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصيل المتكامل ، ومحاولة لتصوير اللغة العربية على انها لغة « امة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتغريب ان يطرح شبهة جزئية وجرت الاقلام في سبيل دعمها واقناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة امة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققا هذه الغاية .

وكان هذا الاتجاه فى طرح القضية يحمل طابعا خطيرا من التمويه والتزييف والتجاوز .

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكـون صحيحا فى اي بلد من بلاد العالم وفى مواجهة اي لغة ولكنه يصبح عسيرا جدا حين يطرح بالنسبة للغـــة العربية . ولو لم ترتبط اللغة العربية بالقرآن والاسلام لكان يمكن ان يكون هذا الكلام مقبولا .

اما وقد انزل القرآن منذ اربعة عشر قرنا باللغة العربية فانشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد اصبح للغة العربية وضع مختلف لا شبيه له فى اي لغة اخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف فى اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقليمية تخص قطرا ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقـــة الارادة فى التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بهـــا المفكـــرون المسلمون منذ اكثر من ثمانين عاما تلك المحاولة التي قام بها ولكوكس فى مصر وماسينون فى الشام وكولان فى المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان اخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم فى العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (اي ما كتب قبل نزول الاسلام بأكثر من نصف قرن) .

اي ان تراثا حافلا قام فى خلال هذه الفترة كلها ــ واعظمه ما جاء بعد الاسلام بالطبع ــ هذا التراث هو ملك حر لقراء اللغة العربية يلمون به الماما صحيحا دون ان يكونوا فى حاجة الى مراجع او معاجم ويفهمونه فهما صحيحا . وهذا ما لم يتيسر بالقطع لاى لغة فى العالم كله اليوم ، وذلك ان اي لغة قائمة الآن بخلاف اللغة العربية لا يستطيع قراؤها ان يفهموا من تراثهـا الا ما لا يجاوز الثلاثة قرون ، اما ما يبعد عن ذلك فانهم يلتمسون لفهمه المعاجم . ان مرد ذلك ثبات اللغـة العربية الذي لم يتح لأي لغة اخرى ، ومرجع هـذا الثبات الى نزول القرآن بها وارتباطها به على النحـو الذي انشأ هذه الثروة الضخمة من العلم والتـراث والتآليـف .

ومن هنا اصبح للغة العربية خاصية متميزة لا تستطيع اللغات الاخرى ان تشاركها فيها ولا تستطيع هي ان تجاوزها : تلك هي انها لغة أمة ولغة فكر ودين. فهي لغة الامة العربية التي يبلغ تعدادها اكثر من مائة مليون يتكلمون بها وبها يتعاملون ، وهي فى الوقـت نفسه لغة المسلمين جميعا : لغة فكرهـم ودينهـم وصلاتهم ولغة ذلك الرباط الذي يجمعهم بالتشريـع والعقيدة جميعا وهو القرآن الكريم .

ومن هنا كان الخطر الوحيد الذي يواجه اهل اللغة العربية هو ان يسقطوا عن مستـاى اسلـوب القرآن ، ليصبح اسلوبهم قاصرا عن فهمه وتعمقه ، لأن ذلك من شأنه ان يفصل بينهم وبينه ، وذلك مـا تحاوله القوى الهدامة المعادية للعرب والاسلام ، والتي تدعوهم الى ما يسمى باللغات الوسطى أو تقريـب الفصحى من العامية .

وامامنا القرآن وهو المقياس الثابت وعلينا فى كل حركة من حركات العمل ان نقترب منه ونلتقي بـه ، فعلى العامية أن تقترب من الفصحى وليس على الفصحى ان تنزل الى العامية .

والتعليم كفيل اذا اتسعت آفاقه ان يقلل مـن الحاجة الى العامية وان يقرب الاتصال بالفصحى .

والذوق العربي كله متصل بالفصاحة ، وفهـم الفكر الاسلامي والثقافة العربية متصل بهذا المستوى من الاسلوب والبيان .

لقد كان لارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بها آثاره البعيدة المدى ، فلقد اتصلت اللغة العربيـة التي كانت تعيش على حدود الجزيرة العربية الى آفاق العالم كله وحملت معها ثقافة القرآن ، وحصيلة العلوم، ونظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وحملـت معها المنهج العلمي التجريبي . فالقرآن هو الـذي اعطاها هذه المكانة وفتح أمامها هذه الآفاق ، فهـي بوصفها لغة الاسلام قد حملت رسالة ضخمة الى العالم كله والى البشرية : هي رسالة التوحيد .

ولقد وهب القرآن اللغة العربية حصيلة ضخمة من المعطيات الفكرية والاجتماعية من خلال رسالتـه العالمية التي اتخذت من الفاظ اللغة العربية المتناثرة تشكيلا جديدا طرح على البشرية منهجا شاملا مـن الحياة والفكر والنظر فى الكون وبنـاء المجتمعـات والأخـلاق .

وكان هذا هو مصدر دهشة الناس عند نـزول القرآن ، فقد كانت هذه الألفاظ معروفة لهم بأعيانها ، ولكن الاعجاز كان متمثلا فى هذا التشكـل الـذي تشكلت به فكرا واداءا ، فى هذه القيم الجديدة التي قدمها ، وهذه الصور المتعددة ، وهذه الروعـة فى اسلوب الاقناع والحوار ، وهذه المناهج المتعددة فى مخاطبة القلب والعقل .

ومعنى هذا أن ثروة اللغة العربية انما ترجع فى تشكلها القرآني الذي أعطاها هذه القوة ، وفى نفس الوقت اعطاها الاسلام هذا الاتساع والذيوع .

ومن هنا قد اصبحت صلة اللغة العربية بالقرآن والاسلام صلة عضوية تمثل التجربة الاولى والاخيرة من نوعها فى صلة رسالة السماء بلغة من اللغـات ، ولا ريب أن هذا المفهوم له اثره البعيد فى امتـلاك المسلمين جميعا لهذه اللغة ، وما يتصل بهذا من خطأ القول بأن لقطر ما أو شعب ما ، القدرة على التصرف فى اللغة العربية .

ومن الحق أن يقال ان اللغة العربية هي لغة فكر عالمي يضم سبعمائة مليونا من المسلمين جغرافيـا ويمتد اربعة عشر قرنا فى التاريخ والتراث .

(2)

هذه الحقائق كانت واضحة فى اذهان اولئـك المنافحين عن اللغة العربية فى كل عصر : نراه واضحا فى عبارات مصطفى صادق الرافعي قبل خمسين عاما حين يعرض للقول بأن العربية لغة امة أم لغة فكر :

« ان في العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب ان يؤدى على وجهه العربي الصحيح ، ويحكم منطقا واعرابا بحيث يكون الاخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزيغ بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤادها وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر . ثم هذا المعنى الاسلامي (الدين) المبني على الفطرة **والمعقود على انقاض الامم،** والقيم على الفطره الانسانية حيث توزعت وأين استقرت ، فالامر اكبر من ان يؤثر فيه سورة حمق او تأخذ منه كلمة جهل » .

« انما القرآن جنسية لغوية تجمع اطراف النسبة الى العربية فلا يزال اهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكما ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم اليها وأوجبها عليهم لما اضطرد التاريخ الاسلامي ولا تراخت به الأيام الى ما شاء الله ولما تماسكت اجزاء هذه الامة ولا استقلت بها الوحدة الاسلامية ثم تلاحمت اسباب كثيرة بالمسلمين ونضب بانيهم ولم يبق الا ان تستلحقهم الشعوب وتستلحمهم الامم على وجه من الجنسية الطبيعية لا السياسية فلا يتبين من آثارهم بعد ذلك الا ما يثبت عن طريق الماء اذا انساب الجدول في المحيط » (1) .

(3)

ويرد الكثيرون على شبهة المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية : بقول الأب صالحاني :

ان اللاتينية ماتت كلغة للشعب بموت الدولة الرومانية وبقيت كلغة للكنيسة والعلماء . اما الشعب فكانت اللغات على لسانه تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الأمكنة والأزمنة والعناصر ، ولم تكن اللاتينية لغته الاصلية وانما كانت اخرى : كالسليتة السكسونية والجرمانية الهندية ، وامتزجت بلغة اليونان فلم تثبت تلك اللهجات الا بتمادي الزمان وبتنوع الكتبة وفتح المدارس وتأليف الكتب ، وساعد الشعوب في ذلك انفرادهم في اصقاع متنائية ودول مستقلة، فاين كل ذلك من احوالنا وعلى كل حال فليس من شبه بين اللغات المشتقة من اللاتينية التي كما قلنا كانت لغة ميتة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حية منذ أربع عشر قرنا ، لم تحط اللغات العامية الكثيرة من قدرها مع شيوعها ، ولو امكنها ان تعزلها عن مرتبتها لفعلت ؛ لما كانت اللغات العامية سائدة بين الشعب لا تزاحمها المدارس والمطابع والادباء بتآليفهم ومنشوراتهم العمية والسيارة على اللغة الفصيحة (2)

(4)

وليس ادل على قوة اللغة العربية من عبارة ارنست رينان ، في كتابه تاريخ اللغات السامية :

« ان من اغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدات فجاة في غاية الكمال ، سلسة اي سلاسة ، غنية اي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لاول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى .

من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغيير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شانها ولا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شيئا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

ومن عجب ان يكون هذا راي اهل العرب فيها ثم يقوم من أبنائها من ينتقص من قدرها ويدعو الى العاميات ويحاول ان ينتزعها من مكانتها العالية .

---

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والابحاث للتعريب

— الرباط —

1 — القسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية التي نستعملها داخل الفم لاخراج الاصوات اللغوية بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني بالمساهمة في انتاج الكلام على أساس تبثق نفساني بديع يتصرف في عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية . تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتتحول عندما تصدم العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية) تتسرب الى ملايير الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث في الدماغ أثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات اخرى ما يحدث فتنطلق من فم المجيب ذبذبات اخرى تنشيء موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والاحيائية (أي البيولوجية) والنفسانية والروحانية والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين قبل ان ينبث الامر بالاجابة فتتسرب بالسيالة من جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع والبصر لتحرك بواسطة أعصابها العضلات المتحكمة في اجهزة الكلام كالحنجرة واوتارها وغضاريفها وكالفم وبلعومه وحفافه ولسانه وشفيته فيخرج الكلام بكل انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة والثقيلة والطويلة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله : كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له اسباب ، ولهذه الاسباب أسباب اخرى لها اسبابها التي تنشأ عن أسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا القليل . وعلم الاصاتيات يخبرنا بالحركات التي تؤدي بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوائت (فونيمات) التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق ومؤثراتها .

ففيما يخص صويتة الباء بالنسبة الى صويتة الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلفظ بهاتين الصويتتين . فان صويتة الباء يتطلب اخراجها مجهودا اكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج صويتة الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

فيها الاستطالات الشعرية الخاصة بالوحدات العصبية التي تنساب معها السيالة العصبية ، وهذه المشتبكات تشبه مرامم كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا في كل واحدة منها مادة كيموية اساسها الكالسيوم والبوطاسيوم والصوديوم وانواع مختلفة من العناصر النادرة كالحديد والمنغانيز والبور والماغنيزيوم والكوبالت الخ ... والكل منماث (ذائب) في سائل خاص يسمى الخليل المراري (الاسيتيلكوليين) والتفاعل الكيموي الذي يحدث في هذه المشتبكات يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيالة . وهذه السيالة مهمتها حمل الاهاجات (أي الطلقات العصبية) الى الوحدات العصبية الاخرى او الى أجهزة التنفيذ المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا بالضبط تتسرب طلقات سيالية نحو عضلات الحجاب الحاجز لترتفع الاضلاع فتنتفخ الرئتان اذاك ويحدث امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من منفذ الانف او الفم او منهما معا ـ بعد ان حصلت في مشتبكات اخرى من الدماغ عمليات اخرى لأمر عضلات الفم بفتحه ـ فينساب الهواء مع الرغامى (أي القصبة الرئوية) الى القصبتين اللتين تتشعبان في الرئتين ، وذلك بعد حدوث اهاجات أخرى في الدماغ امرت عضلات الحنجرة بابعاد الوترين الصوتيين الواحد عن الآخر لينفسح المجال امام الهواء الجاري نحو الرئتين ـ ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الاحدى على الاخرى عندما تضغط الرئتان الهواء ليفر منهما متسربا مع الرغامى فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور فيصل الى البلعوم وعند ذلك او قبل ذلك بقليل يرتفع الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الغنة في صوت الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد النفوذ من بين الشفتين فيجدهما منطبقتين كما اسلفنا فيصدمهما ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين وعلى الحفاف وكل هذه الاعضاء تقاوم ذلك الضغط بالتقبض والتقلص ، واذا بالوترين الصوتيين يقتربان ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحن الحنجري الذي سيجعل من حرف الباء حرفا مجهورا لا مهموسا فتحصل اذاك عملية الترنن وهي فزيائية محضة ، وفجاة تتباعد الشفتان الاحدى عن الاخرى وينفلت الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم المفتوح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق في شكل موجات صوتية .

هذه العمليات كلها بتناسقها العجيب وانواع حركاتها الدماغيه والعصبية والعضلية الدقيقة هي التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

اما الهاء فلا شيء من ذلك فيها الا خروج الهواء الحامل ذبذبات الوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء الفم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة الى القاف والكاف والراء والحاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة الى الحاء والعين والغين والفاء والهمزة الخ ...

واذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب . واذا خف فذلك لسبب ايضا أراده العقل ليعبر عن الشدة مع الاصوات الشديدة وعلى الليونة مع الاصوات اللينة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الريح : هبت فسمع صوت هبوبها ، وهب الشيء : خف وهب الرجل : اسرع في سيره والهف التخفيف من الناس ، وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسمك الصغار ، وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض ما يلي : قض عليهم الخيل ارسلها ونشرها وقض الحائط هدمه هدما عنيفا وقض الوتد : قلعه وقض الشيء دقه وقض السير او الوتر ، سمع له صوت كانه قطع الى غير ذلك من المعاني . فكلما خفت في حف اشتدت في قض .

وهناك فكرة اخرى وهي فكرة الاستساغة ، استساغة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء مثلا فان اصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجراسها موضوع استحسان او استخشان من طرف الانسان (انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ، فالحاء لطيفة والخاء ثقيلة) فلكل لطيف واليق وجميل وحلو ومطرب ومفرح ومسعد اصوات لطيفة لينة موسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق ومحزن الخ .. اصوات تناسب تلك الصفات بمعاني اصواتها .

وهذه الافكار انتبه اليها فقهاء اللغة القدماء فخصصوا لها ابوابا مشهورة عنونوها بمطابقة اللفظ للمعنى ، ومن اشهرهم في هذا ابن جني ، كما الفوا فيها كتبا اشهرها قاموس مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس ، الا ان علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا فى بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فاصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما فى موضوع الاستاغة ، فهذا الشعب الالماني مثلا يستحسن صويتة الخاء وصويتة الراء الرنانة ، بينما الشعب الفرنسي يستقبحها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تغنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكي يستحسنها — وبينما لا نرى شعبا أوروبيا يجيد صوتية الأو (ou) اذا بالشعب الفرنسي يكثر منها — وتغلب صويتة الشين فى البرتغالية ، كما تغلب عملية التقعر البلعومي فى اللغة الروسية ، وما أحلى صوائت الحاء والهاء فى اذننا ، وما اقبحها فى اذن غيرنا الخ .. من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا فى موضوع لغة أصيلة بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننتظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على أسس متينة فى مدة قصيرة لان فى هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحدثية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة أخرى مما هو فى الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفر اجهزة العد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن ان هذا العلم فى متناول أي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحذار ثم حذار ! لأن أجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان أجادوا فى بعض هذا العلم فان وسائل نقصتهم فتوهموا فى بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالو ان الزيادة فى المبنى زيادة فى المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات فى الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة واباحير وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتراكيب اختلف فيه كما اختلف فى ما سبق لعدم توفر مواد البحث فى ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة فى العلوم اللغوية آنذاك مما ادى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او فى ما هو ضمني باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اضف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما ادى الى بلبلة الافكار واللجوء الى السماع مع الابقاء على فكرة القياس رمزيا لأن أحدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوفقوا فى بعض نواحيها بقدر ما فشلوا فى معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمثابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها أخف الحركات العربية لذلك كثرت فى اللغة وقالوا عن الضمة انها اثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها اثقلهما . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى فى عصرنا الحديث والف كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له اكبر صدى فى هذا الميدان فعلل الفتحة بانها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعلل الضمة بانها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، واشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط باداة او بغير اداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات فى الاعراب (انظر اسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد أقوال « مارسيل كوهن» و « يوهان فوك » اللذين يثبتان بأن اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبي والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلايلي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد ... فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفاخرة والمبالغة (فامرته فقمرته فانا اقمره) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كان عينه اولامه حرف حلق فهو تقدير واهن .. واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلاء وجودا او عدما تنقل الفعل الى علم يعلم .. واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن يحسن واذا اردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى باب ورث يرث (انظر المعجم للعلايلي) .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضبط ، منها الغلب : قامرني فقمرته اقمره اي اغلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه ـ بينما فعل يشمل افعال الغرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العلل والاحزان واضدادها .. وتجيء في غير فعل الا انها فيه أكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها.

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة ـ الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير ـ اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل لانه يتغير وليس بثابت كالاسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض ـ اما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرأ عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الاساس بيد انه اذا تتبعنا بازاء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحصاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البسيطة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه أسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما ادى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضف الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الاسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات التناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة ـ العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على اساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطلق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « أو » ((ou)) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صويتة = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبيء ومن البشر اي الشق والفتح . والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي افطارا من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرف وخرج وحرك الخ . والحركة

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ . . . فهو اما مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي ، بهذه الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسبيا على أوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث حركات ، حركة الفتح اي التأثير على العالم الخارجي وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج ونطح وقطع واكل وفتح ودحل وصرع الخ . . وكلها افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا ـ ثم حركة الكسر اي التأثر الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش وعلم وفرح وسقم وغرق وعسر وحدب وجزع الخ . . ثم الضم (والطم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات) كـ : حسن وخشن وكبر وصغر وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على أساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فبما ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة والخشونة في الاشياء وأوصافها فان الحركات كذلك يجب أن تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه الاقدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغي بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على العمل الارادي ؟ لان فكي الفم عند اخراج صويتة الفتحة يبتعدان الواحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغليظة تسمى الماضغة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى وهي الجناحية Ptérigoïdien وعضلة ثالثة هي الصدغية Temporal تساعد الثانية اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن الفم من العض والقطع للمأكولات وهذه العملية عملية اقفال الفم ـ هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الاساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ، وهي ذات البطنين Digastrique والضرسية الامية Mylohyoïdien والذقنية الامية Géniohyoïdien فعملية الاقفال اذن بفضل عضلاتها القوية اسهل وايسر من عملية الفتح الضعيفة العضلات فاخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للفم حتى ان صويتة الكسر قد تخرج ويكاد الكفان يكونان منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال القدماء بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام المكسور الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرزوخ وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتأملناها تأملا متئدا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة لا الى فروعها واخطائها وشائعها ، وتبصرنا امورها الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى البدن البشري وطبقناها تطبيقا محكما ، امكننا اذاك ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا الستار عن النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقلهم وشعورهم واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا هذا ستصبح اذاك العربية أسهل اللغات بالنسبة الى العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ بخطئها وصحيحها بدون معيار للتمييز بين الصالح والفاسد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلا مادة « دخن » التي جاءتنا منها الابنية الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطع وارتفع ، وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها (اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك لفعل الفعل ارداديا) .

ودخنت (بكسر العين) : القي عليها حطب فأفسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، أي حصل لها الدخان وأصيبت به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرهما : اذا اصابه الدخان في حال شيه أو طبخه حتى تغلب رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبيخ اذا تدخنت القدر ـ وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق اللفظ على سبيل العموم) ـ

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطع وارتفع (أي كما يسطع الدخان يسطع الغبار) ـ

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث (بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن (بضم العين) النبت ودخنت (بضم العين) الدابة دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات والدوام على حالة الدخنة أي الكدرة يعني صار نهائيا في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل « ش ر ف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين) الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين) الناقة : صارت شارفا (أي على سبيل التشخيص علت وارتفعت في السن) وشرف (بكسر العين) الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف (بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء) اي صار مرتفعين ـ وشرف الرجل (بضم العين) صار ذا شرف (أي في حالة ارتفاع وعلو تبتت فيه واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت شارفا (والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت (بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى اصبح في أعلى درجة منه)).

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله وعليه : ضد سر اي حصل له الحزن ـ وحزنه (بالفتح) ضد سر (لغة تميم وهي عندي أقرب الى الاصل العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم) في الاستعمال تلافيا للطيرة مع أن مصدره حزونة بقي مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدتها .

وفي مادة « بثر » بثر وبثر وبثر بالثليث وجهه خرج به بثر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثاء والزاي : « بزر » والمعاقبة بين الثاء والصاد : بصر ـ ومراعاة القلب المكاني : ثبر ـ فيأتينا منه معنى القروح ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على المعنى الاول فمفاده : بثر (بالفتح) وجهه : أخرج بثورا . وبثر (بالكسر) وجهه حصلت له بثور . وبثر (بالضم) وجهه وهو : اصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل (بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الآتية وهي ان العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من أغراض . واللغة العربية ـ داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة ـ اداة تمتاز بطواعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .

التعريب والتفتح في المغرب العربي

للدكتور محمود عبد المولى

«تونس»

يتحدث الناس كثيرا ، هذه الايام عن الانفتاح أو التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتذلة واصابها ما أصاب بعض العملات ، اثناء الازمات الاقتصادية، من تضخم قد قضى على جزء ضخم من قيمتها الشرائية .

ولا نعدو الحقيقة كثيرا اذا قلنا ان كلمة انفتاح أو تفتح او تعصير ، اصبحت ، في قاموس البعض ، تعلة لاتهام كل من انبرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتحجر والرجعية والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظاتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » أو جدلية «الاصالة والتفتح » — نؤكد لادعياء الانفتاح والتفتح والتعصير — دون ذكر اسمائهم — ان كل من يعتز بلغته واصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثورية وموضوعية ، بامكانه ان يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية في العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والاصالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضارات الاجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا في شروط موضوعية معينة منها :

— تحريك قيمنا الحضارية الخالدة — وتراثنا الثوري الحافز ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المتقدمة في عالم القرن العشرين .

— ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المتقدمة يجب أن يكون مدروسا — لا متروكا للصدف ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولغتنا واصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق يهدد شخصيتنا وكياننا الاجتماعي والثقافي ، بالمسخ والذبذبة ... كما نرى — لا تناقض بين قيمنا القومية واقيم الاممية في مضمار الاصالة والتفتح . نستطيع أن نأخذ عن الغير العلم والتقنية والثقافة المتقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الاجنبية الحية بدقة واتقان — اذا أمكن — وفي نفس الوقت نتمسك بمقومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الاساسية، هذا في رأيي هو الانفتاح المنشود . أما الاقتصار فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لغتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر والذوبان معا .

انه التحجر لان فرنسا هي في الواقع تعتبر في خصوص بعض الميادين العلمية والتكنولوجية متخلفة بالنسبة لعدد من البلدان المتقدمة كأمريكا وانجلترا وروسيا والمانيا ... الا انها تعتبر طبعا — متقدمة تقدما مهولا — بالنسبة للبلدان المتخلفة جميعها . اليس من الافضل لبلدان المغرب العربي ان تستفيد من اختصاصات — هي في حاجة اليها — ولا تجدها في فرنسا بل في بلدان اخرى متقدمة ، سواء كانت في الشرق الاشتراكي او الغرب الرأسمالي ..؟ اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك أن تعلم لغة من اللغات

الحية كالانجليزية او الروسية او الالمانية ... امر لازم .

ان انفتاح مغربنا على العالم المتقدم – عن طريق لغة او لغتين من هذه اللغات الحية سيساعده – دون ريب على الخروج من معركة التخلف بنجاح للانطلاق بعد ذلك – الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاشعاع الثقافي والعلمي والتكنولوجي ...

وهو ذوبان وانحلال لشخصيتنا وخصوصياتنا القومية والحضارية اذا استخدمنا اللغة الفرنسية كلغة شبه رسمية واهملنا اللغة العربية .. ان الانفتاح على الثقافة الفرنسية او على أية ثقافة اجنبية اخرى يجب أن يمر عن طريق عروبتنا كما اكد ذلك العالم الاجتماعي الفرنسي جاك بارك (Jacques Berque) في عبارته الشهيرة :

«La francité du Maghreb passe par son arabité»

لذلك طالب المثقفون فى تونس والمغرب الاقصى قبل الاستقلال وبعده بالتعريب والاصالة الثقافية لا لاسباب عاطفية ، وانما لانه المطمح الطبيعي والشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتيتنا ونهضتنا ، والمنطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي كخطوة نحو وحدة وطننا الاكبر ...

الواقع ان موضوع الاصالة والتعريب هو موضوع له حساسية خاصة ويتطلب منا قدرا كبيرا من الموضوعية والشجاعة. قد يحدث التباس فى الاذهان، ونحن نثير الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصالة والتعريب ، قضية الساعة فى مجتمعنا ، هذا الالتباس يتمثل فى أن الغرض من اثارة مشكلة التعريب فى تونس او الجزائر او المغرب الاقصى هو احراج المسؤولين أو التهجم على هذه السياسة التربوية او تلك . لكن الذى حدانا الى معالجة هذه القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير على أسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن العربي .

فالواجب يفرض علينا النقد النزيه والموضوعي لجوانب حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا بأن هناك خطرا يهدد كياننا . ان اسلوب السكوت والتفاؤل الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على امل شعوبنا فى التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعريب والاصالة هو موضوع خطير ، قد حفت به ملابسات سياسية واديولوجية ونفسية لا تخفى على احد . واذا صارحنا انفسنا وضمائرنا ، فهو ، فى حقيقة الامر قضية مصيرية تتحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث تتجاوز امكانيات رجال الفكر والتربية والثقافة فى المغرب العربي . والراي عندنا ان الحل الجذري لمشاكل كثيرة يتخبط فيها مجتمعنا المغربي اليوم ، يكمن فى تبني سياسة التعريب الشامل والمرحلي . فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لغتنا القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج الفكري والعلمي ...؟

اذ لا يمكن ، اطلاقا عزل المفهوم السياسي لعملية التعريب عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة !؟

لذلك ونظرا لتشعب قضية التعريب ، باعتبارها قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب ومثقفين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح على الصعيدين الرسمي والقومي ...

لذلك ونظرا لكل هذه الظروف والملابسات الاديولوجية والنفسية التى تحف بالتعريب لا يسعنا الا أن نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابدا المشاكل والصعوبات النفسية والمادية التى تعرقل سير قطار التعريب ، خاصة ونحن نعلم ان الاوضاع الاستعمارية التى رزحت تحتها بلادنا ، قد فرضت علينا واقعا ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا متخلفا . ان هذه التركة الاستعمارية الثقيلة والبغيضة قد عكست على حياتنا الاجتماعية ارتباطا لغويا وثقافيا خطيرا .

كان هدف الاستعمار فى العصور الحديثة سواء كان فرنسيا او انجليزيا يرمي الى تمزيق وحدة الامة العربية وتقسيم الوطن العربي الى دويلات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها الكادحة ، اقتصاديا وثقافيا ولغويا ...

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية الادماجية فى المغرب العربي الكبير بخاصة ، هو تجهيل الجماهير بلغتها وتاريخها وواقعها ... ومن هنا كانت وضعية شعوبنا المغربية مطابقة للحقيقة العلمية التى صدع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن خلدون وهي تؤكد بأن « الامة الغالبة تفرض على الامة المغلوبة حضارتها ولغتها ..» .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدات اثر عصور الانحطاط والظلام ، وبخاصة فى بداية العهد التركي ؛ ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخيلة محاربة اللغة العربية وذلك كخطوة نحو تتريك الاقاليم العربية . وكلمة تتريك هي كلمة دارجة حتى اليوم فى بعض اللهجات العربية فى المغرب وتونس وتعني مثلا العبارة : « يحب يتركني » معناه « يريد ان يهلكني » (1) . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب الى اتراك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التتريك هذه قد نادى بها — كما نعلم — وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة تركيا الفتاة . اما فى المغرب باقطاره الثلاثة ؛ فقد قامت محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي ؛ ترمي فيما ترمي اليه ؛ الى الفرنسة والادماج ، واحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك اكد المثقفون المغاربة — مرارا وتكرارا — ان لغة المستعمر ؛ بما تحويه من ثقافة وتقاليد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي فى تونس والمغرب الاقصى والجزائر . وانما هي — بالعكس من كل ذلك — تمسخ او بامكانها ان تمسخ — شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقية .

---

(1) كلمة « **تركة** » بتشديد الراء معناها فى عامية المغرب الاقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكان « **المترك** » (بفتح الراء وتشديدها) مات فصارت **تركته** تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتقاق الكلمة العامية من الفصحى ، كما يتضح من استعمالها فى المغرب الاقصى بالمعنى الذى اشرت اليه .

اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية

الأستاذ أنطون شال (1)
جامعة هايدلبرج
ترجمة الأستاذ إدريس الخطابي

اذا فتحنا كتابا من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية لنستعلم عن انواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزيء (او الأداة) (Partikel) . والعلامات التي يستند اليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة اي انها ليست من صميم الكلمة : فالأسماء المعربة والافعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير . واما باقي الكلمات غير المتغيرة فيشملها اللفظ العام : جزيء . غير أن علامات التمييز هذه لا تفي بالغرض اذا اردنا أن نقسم الجزيء الى اقسامه المختلفة . ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة في الجملة وتفرع الجزيء الى حال وجار وعطف ونداء . فنحن نرى اذن ، ان قائمة انواع الكلمات او اقسام الكلام ، قد اشتملت على الفاظ ذات طبيعة متباينة تباين وجهات النظر النحوية عبر التاريخ.

واذا رجعنا الى ما قبل اليوم بحوالي قرنين اي الى زمن وضع القواعد النحوية الاولى في البلاد الغربية ، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » لمؤلفه ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax) الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين اشياء اخرى: « ينقسم الكلام الى ثمانية اقسام : اسم وفعل واسم مفعول واداة تعريف او تنكير وضمير وحرف جر وحال وعطف » . اما النحويون الرومان فاننا نجدهم يتخذون المصطلحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد . ولذلك ظل نموذج ديونيزيوس تراكس عالقا بالأذهان لدرجة ان الاقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو احلال حرف التعجب محل اداة التعريف التي لم توجد في اللاتينية . وقد تولى النحاة الثقات، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس . اما التقسيم الثلاثي الذي أوردنا في مطلع بحثنا فلا يوجد له اثر واحد في هذا الوقت على ما اظن .

وقد أسس يوهانس رويشلين (Johannes Reuchlin) سنة (1506) في بفورتسهايم (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين في كتابه « مبادىء العبرية » . وفي الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لأقسام الكلام

(1) جاءنا هذا البحث من مؤلفه من المانيا الاتحادية ورغم بعض الآراء الغريبة التي جاءت فيه فاننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنا مهما كانت نوعيته او قيمته وقد نشرنا الاصل في مكان آخر من هذا العدد » . وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق العادة للغات السامية الحديثة والاسلاميات في جامعة هايدلبيرج في 21 ديسمبر 1971 .

العبري : هنالك ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والآتي بمعنى ـ نقول اليوم الجزيء ـ ، ويشتمل الاسم ايضا على الضمير واسم المفعول . ويشتمل الحرف على الاربعة الآتية : الحال والعطف وحرف الجر والتعجب. نرى أن تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب رويشلين اتفاقا مدهشا . والجدير بالذكر أن رويشلين والعلماء المسيحيين المعارضين له أخذوا فكرتهم حول أقسام الكلام عن الاعمال النحوية اليهودية القومية حول اللغة العبرية ، غير أن أعمال علماء اليهود النسقية الاولى كتبت باللغة العربية والفت تحت تأثير وحسب نموذج القواعد النحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الفارة الصغيرة في تاريخ النحو الى علم هيمن في عهد لمعان الثقافة العربية الاسلامية . وتأثير هذه الثقافة وبقائها في علوم الغرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الوساطي بالنسبة للتراث اليوناني معروف معرفة عامة . غير أن الأثر المتواضع لهذا العلم العربي الاصيل في وسط كتاب من كتب النحو الحديثة لم ينظر اليه بعد ، من هذه الزاوية .

ولم أجد في نطاق عملي ، شعبا من الشعوب القديمة ، عني بلغته وفكر فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها الا الشعبين اليوناني والهندي . اما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق أن أشرنا اليه واما الهنود فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار واظهروا أصالة في أبحاثهم ووصلوا الى القمة بمؤلفات بانيني (Panini) أواسط القرن الاول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق امام الباحثين الهندوجيرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات. ولم تتم الانجازات العظيمة الرائعة في هذا العلم الا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحويون الهنود الذين القوا الضوء على هذه اللغة واوضحوا غوامضها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان، موقع الوسط بين النحوين الهندي واليوناني وهذا الموقع هو الذي جعل الناس يتساءلون الى الآن ، عما اذا كان النحويون العرب قد استعانوا بنماذج اجنبية ونظرا لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من اعادة المراجع الى أصولها بالدقة المطلوبة أصبح من المستحيل الفصل في هذا الامر ، اذ ليس من المتوقع أن نجد قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني الهجري اي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس بنيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سيبويه . وأهم اعماله النحوية هو مؤلفه المسمى « الكتاب » . وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحويين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة الى يومنا هذا .

اما نقطة الانطلاق بالنسبة لأكثر العلوم العربية تفاوة فتدور حولها مجموعة من الأساطير. فقد كان ابو الأسود الدؤلي ـ أحد أنصار علي بن ابي طالب آخر الخلفاء ـ قاضيا في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في اول امرها معسكرا للجنود العربية ، والموجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سئل ابو الأسود الدؤلي: كيف تعلم العلوم النحوية فاجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه اياها ولم يكن ابو الأسود يعير معلوماته اهتماما كبيرا حتى أمره حاكم العراق بوضع دليل للغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين المقدس . ولم يبد ابو الأسود رغبة في الانصياع لهذا الامر بيد انه سمع يوما احد الناس يتلو جزءا من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة : المترجم) كما يلي : « أن الله بريء من المشركين ورسوله (1) » بدلا من ورسوله كما هي القراءة الصحيحة . والقراءة الخطأ ليست اقل من الكفر لأن معناها أن الله بريء من المشركين ومن رسوله . فذهل ابو الأسود من هذه القراءة وقرر على الفور تلبية امر الحاكم .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الاسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس اي حول وقاية ما يعتقده العرب انه كلام منزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت اذن الاسباب التي اثارت عند العرب الانتباه الى القواعد النحوية هي اسبابا دينية . كان من الواجب أن يصان القرآن عن الأخطاء في افواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حديثا . والاتصال باللغات الاجنبية في البلاد المغزوة هو الذي نبه العرب الى الاعتناء بلغتهم وليس هذا السبب اقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الاجنبية في البلاد الغربية

(1) بالعربي في الاصل .

في نفس الزمن ـ اي في القرون الوسطى ـ لم يؤد الى الاشتغال باللغة القومية . فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النمو وكانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنازع الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم ـ المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة منقسمة الى لهجات متباينة ، ومن ناحية اخرى اللغة العربية العتيقة الآتية من القدم ، لغة راقية او لغة الادب . ولا نستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزما بشروط معينة ، والشيء الذي لا يتطرق اليه الشك هو أن هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن اللهجات الاخرى واصبحت لغة تعم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاحتفالات ذات الأبهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم ـ بأوزانه الصارمة البنية ـ لهذه اللغة بثقافتها . واهمية الشعر ـ كبديل للفن التشكيلي ـ الذي كان مستحيلا في الحياة البدوية ـ جعلت من الممكن ابقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقرآن كان لا بد أن يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد أن الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نحاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة والخاصة ممكنا الا بمعرفة دقيقة للغة الراقية . وفي المدينتين الطموحتين الكوفة والبصرة ـ بأدنى العراق ـ نشأت مراكز للعلوم النحوية ، ربما اقتصر هذا العلم بادىء ذي بدء على مراقبة كلام البدو وجمع وشرح الاشعار والروايات الخاصة بالحروب القديمة والامثال والتقاليد ، فنعرف ـ مثلا ـ ان معظم اعمال الكوفيين مجرد تجميع . أما البصريون فيظهر انهم بكروا بترتيب المواد المتواترة والممثلان الرئيسيان لمدرسة البصرة الخليل وسيبويه، هما اللذان أتما تنسيق النحو العربي .

نعرض على القارىء فيما يلي تأملا قصيرا عن النظرة الاسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بانها جزء من المنقول المأثور الذي عولج بعقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركني كل عمل علمي : احد هذين الركنين هو المنقول اي المادة المأثورة القابلة للمعالجة والتنقيح ، والركن الثاني هو عقل العالم المنقح مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن أن يكون هذا التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباينة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة المأثورة وتنميتها حسب الامكان ، ففي مادة التاريخ ـ مثلا ـ نجتهد دائما في ضم مصادر أخرى حتى نستطيع تحديد اسباب مصيرنا بطريقة ادق . **وفي العلوم اللغوية نسعى الى مضاعفة تعميق نظرتنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع أمهات الكتب والبحث في اللغة الدارجة** . نعم نقيم ـ نحن ايضا ـ نظرياتنا على أساس المواد الموجودة بين ايدينا ، واذا تغيرت هذه المواد او وجدت مواد جديدة يمكن أن تتغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير أن العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة المتواترة قد اكتملت ووصلت الى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد أن أقام اللغويون العرب نظريتهم النحوية على أساس الادب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقياس الوحيد لبناء النسق النحوي .

ولأجل هذا النموذج الذي وضعه النحويون الأوائل لم يؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الا الشعراء الاقدمون والنصوص النثرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة بأيام المعارك التي خاضها العرب الجاهليون والأمثال القديمة واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الأدب النثري الجيد الذي ازدهر بغزارة بعيد عهد الأمويين والذي هو جزء مهم من الادب العربي النحوي فلم يستعن به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهماله وفي عدم محاولة تلاميذ سيبويه استخراج الأمثلة النحوية من النثر يرجع الى قدرة الاسلام على التشبث بالمعطيات الاولية . واذا طبقنا ذلك على اليونان فانه يعني حصر استخراج النماذج النحوية على مؤلفات هوميروس والشعراء الاقدمين واعمال هيرودوت (Herodot) وتوكيديدس (Thukydides) وبما أن لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما أن اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي أن يرفض العرب رفضا باتا استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق النحوي .

ولقد ادت الاعتبارات الدينية هنا الى تقلص المادة المتوارة وظهرت فعلا وفي زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضة تتوخى توسيع المأثور اي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق النحوي . لكن سرعان ما انتصر

مذهب المتواتر المعهود على مذهب التوسيع والتجديد وحتى فى النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين ينعكس النزاع المتواصل الذي نلاحظه فى التطورات المذهبية والشرعية فى الاسلام . وفى هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة او تصحيح اخطائها . ولم يألوا جهدا فى الحفاظ ـ بغيرة ـ على القانون الذي هو نموذج الاعمال الادبية العظيمة وعدم توسيعه،ولهذا استعملوا دائما فى مؤلفاتهم نفس الادلة والامثال. وبذلك اتخذ النحو صبغة « علم معيار » واخيرا اصبح هذا المعيار والعبارة « ممنوع » سببا فى أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي هي ، فى اساسها ، منذ ثلاثة عشر قرنا .

واذا عرفنا أن النحو العربي لم يتزود بأية مادة حية من اية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف غدا هذا العلم بالضرورة ، شيئا فشيئا ، جامدا مثل المومية . ويمكننا ان نأخذ فكرة عن ذلك فى رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدي فى ديوانه « جنة الورد » فى القرن الثالث عشر . ففي احدى رحلاته الى تركستان الشرقية ـ التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري ـ راى سعدي فى مسجد كشكار طالبا منصبا بحماس على باب من ابواب كتاب الزمخشري . ويجب هنا أن استطرد لأقول ان النحو العربي يشرح حالات الاعراب فى جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الاعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحاد عنها قط ، ولذا سمع سعدي الطالب يقرا : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه فى السنة نفسها عقد حاكم توران سلما مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدي للطالب الشاب فى سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . والى يومنا هذا يتضارب عمرو وزيد فى جميع المدارس التي يلقن فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

هذا ولم يعتبر المسلمون قط اللغة شيئا متطورا وناميا كما لم يتفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب فى ذلك هو القرآن أيضا فمعنى كل كلمة فى نصه المأثور لا يوجد فى صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضا ـ بل اكثر منه ـ فى رسمه المكتوب الذي تناقله الاجيال فى شكل معين . فللرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على اساس نص القرآن اي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما تسمع بالأذن . فأصغر جزء فى الكتابة هو الحرف اما فى العربية فهو الحرف المتحرك فقط (1) ولذلك يسوي فى الاصطلاح النحوي اللفظ والحرف المتحرك والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو اصغر جزء فى الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروفا عند النحويين المسلمين فى القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحا عليه ، وبما أنه لم يعمل الا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص فى اللغة . ولم تدخل علامة الحركة فى اللغة الا عند ما ادخلت العلامات الدالة على قصر الحركة . ولم يحدث ذلك الا لأن العرب يرمزون الى الحركة بعلامة خاصة . والشيء الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظريتنا قد بنيت على هذا الاساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون أن يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفا .

وبالاضافة الى معنى ضيق للمادة لا نفهمه نحن الغربيين ، فالمجرى الخارجي الذي اتخذته النظرة الى اللغة القومية فى العالمين الغربي والاسلامي متباين تمام التباين . فاليونان ، وهم أساتذتنا فى العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيرا بالعام الذي يكمن وراء الخاص واهتموا بمبادىء الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفى اطار هذا الاخير وجدت المادة التي تستند اليها العلوم المختلفة وخصيصا اللسنيات ارضا صلبة . فالكلام

---

(1) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين الى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون ـ الفرق بين العرب والغربيين هو أن الحركات عند الغربيين (a, e, i, o, u, y) تعد من الحروف وتكتب الى جانبها ـ ولا تعد فى العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وانما توضع فوقها أو تحتها اذا اشكل النطق ـ (المترجم)

(2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

والفكر عند اليونان يشتملان على نفس القوانين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين فى نفس المنهج الفكري . فيتساوى عندهم الحكم والجملة ؛ والمدلول والكلمة . اما فى الاسلام فقد تطورت الامور تطورا مضادا على طول الخط ؛ حيث جمع المسلمون ؛ اولا ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا نقول ان هذه النظرية الاساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرف ، فالنحويون القوميون العرب ينظرون مع وعبر الشكليات والقالب الى محتويات ومعاني الجمل . واليونان ومعهم الغربيون اليوم يرون العام وراء الخاص . اما النحو الاسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطورا موضوعيا . اما النظرة العربية الاسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها اساسا الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تنبع من مبادىء منطقية موضوعية صرف . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللغتين الادبيتين الكبيرتين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدتين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابت ان تخضع لنسق لا يصلح الا للغة العربية .

وتختلف التقسيمات فى النحو الاسلامي ، حتى فى مظهرها ، عن التقسيمات فى نحونا اختلافا كليا . فعلى اساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تنقسم قواعدنا النحوية الى دراسة تكوين الكلمات اي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . اما النحويون العرب فينهجون نهجا آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله فى الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيما خارجيا لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لأن الكلمات تتغير فى نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى انواع ، هو الذي أدى بي الى نقطة الانطلاق فى هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة اقسام : الاسم ، (1) والفعل (1)،والحرف (1) الذي نعبر عنه نحن بالجزيء. وهذا هو التقسيم الذي اخذه رويشلين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس فى الاول ان العرب مدينون ، فى معاني قواعدهم الاساسية هذه لتأثير اجنبي وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اننا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعريفات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات فى وقت متأخر نسبيا وجاءت مرتبطة بأصلها ارتباطا جديرا بالملاحظة ولم تنفصل عنها الا نادرا . بذلك كان من الممكن ان ينشأ اخيرا الاعتقاد القائل ان القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفة اليونانية ، العكس تماما لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علما عربيا محضا . وبهذا الاعتقاد فقد الغربيون ملكة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا ان هذه المراجع الاصلية اقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية فى دائرة الفكر العربي . وقد اتى بعضهم بدلائل ضعيفة جدا ليحاول ان يجد فى انشاء المعاني عند النحو العربي تأثيرا من القواعد اللاتينية وذلك عند ما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف» مع ان « حرف » يدل على شيء من الملفوظ او المكتوب صغير ليس محدودا فى حجمه ، ابتداء من حرف او حرف متحرك حتى الكلمة وعبارة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي فهم هذه الكلمة التي نعبر نحن عنها بكلمة (Partikel) اي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك. يقول سيبويه ان الكلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والحرف (1) ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك فكلمة « حرف » تعني شيئا آخر،غير الحرف المفرد او مجموعة من الحروف التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسما او فعلا ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفى العبارة « حرف معنى (1) » كما كان يسمى القسم الثالث فى الاصل يقع الوزن فى الكلمة الثانية «معنى» ويمكن التعبير عنه فى لغتنا بـ « مجموعة من الحروف الأبجدية الدالة على معنى » .

---

(1) بالعربية فى الأصل وترجمها المؤلف الى الالمانية

يستعمل النحويون اليهود مرارا وبكل بساطة ترجمة عبرية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التحدث عن استعارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص أو شيء) على قسم الكلام الاول ليس الا صدفة محضة . ولا علاقة أيضا بين الاصطلاح اليوناني (Rhéma) (هذا الذي يحكى على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحويين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الاصل اصطلاح علم المنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الاصلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحويين العرب حكما بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فثمة أنواع مختلفة من الافعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فاذا بديء بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلا » . ولكن اذا بديء بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بدىء بها » واذا بنيت الجملة للمجهول اصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولا وسمي المفعول الذي لم يسم فاعله » .

وقد ظهرت هذه المعاني النحوية الاساسية عند اقدم النسقيين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان ينبغي أن يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، أي العقل ، المدبر والمرتب ، اكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، فبهذه الطريقة قد يكون ما يضيفه العالم الى المادة أكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبالاضافة الى ما سبق ، فان العرب لم يهتدوا الى مقارنة العربية بلغات سامية اخرى لانهم كانوا يكادون يجهلونها . اما تطبيق المنطق على اللغة فلم يكن ممكنا لانعدام النسق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع أعمالهم على أساس مبدأ واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد أن يظهر في كل جزء من بنائه المنطق الالهي . واذا كان اليونان قد سووا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحويون العرب قد سووا بين اللغة العربية والمنطق الالهي وواجب النحويين هو ازالة الحجاب عن المنطق الذي يكمن وراء الكلمات واكتشاف أسرار اللغة (أسرار العربية) (1)

ويسعى العالم النحوي الغربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . اما بالنسبة للعالم اللغوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقيا وينبغي له أن يستدل على منطق هذه القواعد ويبرهن على أن كل كلمة اينما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم ، وانطلاقا من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحويون العرب المتأخرون ــ باستدلال صارم ــ قاعدة لغوية مطلقة وقد لعبت هذه القاعدة دورا صغيرا في مرحلة النحو العربي المتقدمة لانها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، بيد أن هذا الدور نما فيما بعد نموا غير طبيعي واصبح النحو علما محتاجا الى استدلال ومعيار بدلا من أن يكون علما مفسرا وشارحا .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي كلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا ؟ يفكر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير أو كبير . واعراب ما بعد العدد يختلف اختلاف وقوع العدد في احدى المجموعات الثلاث : (3 ــ 10) أو (11 ــ 99) أو (100 فما فوق) وبما أن الجواب غير معروف بالتأكيد فان الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 ــ 99) . وهذه الملجموعةتقتضي المنصوب وكذلك ــ اذن ــ « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوار النحويين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة ولا تقبل الاستثناءات . واذا حدث انحراف عنها يستعان بالتشبيه للدلالة على ان هذا الانحراف منتظم في القاعدة . ويؤتي لأجل ذلك بوجه أو أوجه للشبه . واذا كان عاملان متشابهين يختار للثاني نفس العمل الذي للاول . ولا يهم ان يكون هذان العاملان قابلين أو غير قابلين للمقارنة . وبما ان كل المفردات تتكون من الحروف المتحركة وبما ان هذه الاخيرة أجزاء اقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلا ، وكلما زادت اوجه الشبه الخارجية والداخلية أمكن التسوية بين اعمال العوامل المشبهة ، وبما أن هنالك خمسة أوجه للشبه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلا

(1) بالعربية في الاصل .

لاثبات ان هذا الاخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، ان يغير ، قبل سواه حركاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان ومجال . فمعروف في الطبيعة مثلا أن السبب يسبق المسبب . ولذلك فلا تسمح اللغة ان تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب أن تسبق اما الايقاع الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب أن يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد أن ينتظر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها ان تقع وراء الكلمة العاملة . فيأتي مثلا المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به.

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الالاهيين . والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برر بعض النحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكف فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الاصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويتساوى في العمل المعياري مع القاضي الذي انيطت به اقامة العدالة الالاهية والمحافظة عليها .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة العلميين **بل من الصعب علينا بمكان أن نساير هذا النوع** من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج ـ كما قلت آنفا بايجاز ـ خصيصا بالنسبة الى النحو القومي العربي ؛ بالتأثيرات الاجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسسان على مبادىء متباينة تماما . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فانه يصدر عن سبب سام الا وهو واجب الانسان الاساسي في القرون الوسطى الاسلامية اعني العبادة (1) أي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد أن يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنسيق وتأويل ما أتى به الوحي والحديث لاقامة هذه الحياة المستقيمة . ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحفاظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضا جاء الدافع القوي الى العمل .

والمرآة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية اكثر من مرآة بمعناها المألوف ، فهي بؤرة اشعاع **ومصدر الضوء فيها هو الدين الذي ذابت اللغة العربية في أشعته لخدمة الاله .**

(1) بالعربية في الاصل .

الورق المهرق stencil

ذكر ابن الأبار (الحلة السيراء ص 137) « انه كان لعبد الرحمن كاتب أعتاد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينفذها الى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها

الأستاذ إلياس قنصل
(عاصمة الأرجنتين)

كل سلاح وصل الى يد الاستعمار ، استعمله ، محاولا القضاء على القومية العربية .

انزل الاستعمار على المدن العربية قنابله ، ووجه الى صدور ابنائها رصاصه ، وهدم ، وخرب ، وشرد ، واعتقل ، ما شاءت له مطامعه .

ثم حاول ـ وقد رأى ان بطشه المكشوف لم يجد ـ زعزعة اركان الوعي القومي العربي من الداخل، فرشد الانصار ، وجند الاعوان ، واشترى الضمائر ، ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول الى ما يبغي ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلة ، وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفقت محاولاته ، وراي نفسه كما رآه العالم ، متعثرا بأذيال الفشل ، لا يكاد يلملم ذاته من حفره حتى يقع فى حفرة ثانية .

واذا كان الخذلان قد اصابه فى محاولاته ، فليس المعنى ان المعركة التي استهدفت لها الامة أو بعبارة أصح أن المعارك التي ساقها اليها ، كانت معارك هينة لينة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت فى جوانب الامة جراحا ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف بالدم ، الى الآن .

صوب الاستعمار حرابه الى سائر مقومات الامة العربية :

الى اخلاقها ، يريد ان ينفذ بالفجور الى مناعتها ، فينهار تماسكها .

الى تاريخها ، يريد ان يشوه معالمه الواضحة العالية ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر .

الى نشئها ، يبغي أن يبث فيه من الانفلات ما يذيب شخصيته المامولة .

الى اقتصادها ، يرمي الى وقفه عند حد محدود، فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط .

الى كل شيء .

وقد كان « للغة العربية » نصيب وافر من تلك الحراب المصوبة التي تقطر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة تشير الى وجوب البحث فى « تطوير » اللغة ، ولم يكن القصد لا التطوير ولا ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد ايجاد البلبلة فى أجزاء الامة التي تتكلم هذه اللغة ، واحداث شكل من أشكال الفوضى قد يمتد الى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها ـ الى ذلك ـ شغل فئة من حملة الاقلام بالاخذ والرد والمماحكات والمناقشات البيزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماسة فى النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا نقول ان جميع الدعوات التي تعالت مطالبة بالاصلاح ، كانت من ايحاء الاستعمار ، فقد تنزه بعضها، عن ذلك ، ولكننا نقول **ان معظمها كان مدفوعا من الاخطبوط المذكور .**

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهرةمن اغرب الظواهر لا يمكن أن تكون من عمل الصدف :

كانت هذه الدعوات **تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالبا بالحقوق المغصوبة .**

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر ابدا في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الفترات التي كانت حرية بأن تظهر اثناءها ، لان هذا الاصلاح ـ اذا صح ان مرماه الاصلاح ـ يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وانها وقف على طبقة معينة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلافيه ان تكتب بلغة الشعب بالعامية ...

ولو تم لهم ما ارادوا ، لقضي القضاء المبرم على واسطة التفاهم بين الاقطار التي تضمها الفكرة العربية

لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية ـ في حالتها الحاضرة ـ تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى اليوتي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الاسيوية كالمقيم في ادنى القارة الافريقية .

راي هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهالهم **الامر الذي يكاد يكون منقطع النظير في ادوات التفاهم، فعمدوا الى تفكيك هذه الوحدة ، وبرزوا بالنغمة « النشاز » : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ،** اي وضع حدود او شيء كالحدود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب، فلا اقل من أن يكون ثقيلا .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تتقرب فيه من الفصحى كما يفعل الزمن دون ان يشعروا ، فالاصلاح الحقيقي هو ان تتجه الى الكمال ، لا ان تنحدر الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

وقال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الافكار تنصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالتها بمحو جميع المقعد منها ، وملاشاة الغموض ، اي بترك الحبل على الغارب ، لمن يشاء ، ويتحول الاعراب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد،الى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها منطق ، ولا تنتظم في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون **ان جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وانظمة** وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الضـاد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هندستها الراهنة ليست احرفا تماشي الحضارة التي بلغتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بحروف فرنجية ، او بحروف لا هي بالفرنجية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : **انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والتراث العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعة واحدة،على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية** وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مفخرة من مفاخر العبقرية العربية فحسب ، ولكنه يصل الينا ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفضوحة النيات ، مكشوفة المعاقل.

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الخوالج الانسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الآن عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت أمامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفائقة ؟ كيف تعجز الآن عن ذلك ، **وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مغلقة على الذين نقلوا اليها العلوم والآداب من الامم الغربية ؟**

نحن لا ندعو الى الجمود .

اننا نعرف ان تقدم الحضاره يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك **ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجاراة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبه الراغب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة اخرى .**

ان اللغة العربية فيها ((حياة)) يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، **آصرة من أواصر القومية كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدها الآن في العالم العربي .**

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، **قوة من قوى العروبة** ، بقاؤها على جبورتها ، نذير له بأن الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينميها الزمن ، ويغذيها الجهد المخلص **اربعمائة سنة أو نزيد ، بقيت اللغة العربية تجابه الطغيان العثماني ، مجابهة ، خرجت منها فائزة منتصرة** ، وارتد الطغيان مدحورا مكسورا .

وعادت قوى الشر التي حشدها الاستعمار الحديث ، فشنت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن النتيجة الا ما شاء الحق ، **وبقيت اللغة العربية في حصن حصين من مناعتها الطبيعية** ، ولم تؤثر عليها هجمات الموتورين الحانقين .

والقومية العربية تعرف **ان اللغة احد الاسلحة الفعالة في درء الاخطار المخيفة بها** ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرصا لا يمكن ان يتسرب اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبدو بين الحين والآخر مرور الاحتقار والامتهان ، لانها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاخلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدع أحدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها في جميع الادوار وانبعثت منها الطرائف الخالدة ستظل تماشي هذه الامة في مراحلها الى الامام لانها جزء حي منها .

تحقيقات لغوية

الأستاذ
عبد القادر زمامة

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : الشكازة والشكاز . والحوالة . والوادي بمعنى النهر والنسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصارة والمسرة .. !

المصارة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية مخطوطة ومطبوعة سنشير اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية والمغربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا لاقامة المهرجانات والافراح العامة .. والتمتع بجمال الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال الاستعمال . لا يكفينا في ميدان التحقيق اللغوي الذي يحدد المعاني بدقة . استنادا على نصوص معجمية . او استعمالات اصطلاحية معينة .. !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى نقطتين :

الاولى : الدلالة الحقيقية لهذه الكلمة .

الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها

ولنبدأ في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصارة لنرى مدلولها هناك ... !

— فمؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة) يستعمل كلمة المصارة باعتبارها اسم مكان معين يقع خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث ومعارك بين عبد الرحمان الداخل الاموي ... وبين محاربيه قبل ان يتم له الامر ... !

بل اننا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصارة في اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد الرحمان الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقا عند المصارة ... وباع بها اساراه من خصومه المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي (377 هـ — 469 هـ) يذكر المصارة عدة مرات

---

1) اخبار مجموعة ... ص 45

وذلك فى القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) فى بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان فى القسم المذكور استقبالات كبرى جرت فى مصارة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الوافدين على عاصمتها اذ ذاك..!!(2)

كما ذكر أشياء أخرى وقعت فى هذه المصارة .. !

وفى هذا الكتاب وفى غيره نجد مصلى المصارة (3) لكن المصارة ليست موجودة فى قرطبة

وفى هذا الكتاب ليست موجودة فى قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات اخرى لا غرض لنا باستقصائها الآن .. !

ويكفينا الآن أن نرجع الى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي الفه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي لنجد فيه خبرا عن : « وقيعة المصارة بلورقة » (4) باقليم مرسية ، وبذلك تأكد لنا ان

(المصارة) ليست علما على موضع خاص فى قرطبة . . ! بل هي « اصطلاح » اندلسي عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنواتهم الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصارة ...!

ولابد ان نتساءل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ... ! وعند الرجوع الى (تاج العروس) نجد هذا النص اللغوي :

« مصر الفرس كعني استخرج جريه .. ! والمصارة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ..!»

فالمادة لغوية معجمية ما فى ذلك من شك ...! والمعنى اللغوي لكلمة المصارة كما شاهدنا فى النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لاجل العدو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية .

ومن شأن الميدان المعد لذلك ان يكون خارج المدينة فى فضاء فسيح .. !

فاذا اطلق الاندلسيون كلمة (المصارة) على الفضاء الفسيح المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنات والمياديين الواسعة ... فان ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة فى فصيح اللغة ...!

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلا او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ..! فان الاطلاق يكون اذ ذاك حقيقة لغوية ... لا مجازا ..!

وبهذا ظهر ان كلمة (المصارة) لها اصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ...! فلا مجال فيها للتوقف ..! لا من جهة الاصل ..! ولا من جهة الدلالة ..!

وفى المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء..!

— فمؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويحصد الزرع بفحص المصارات — كذا — التي بخارج باب الشريعة من ابواب عدوة القرويين عن اربعين يوما ...! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصارة المذكورة فى خامس عشر من شهر ابريل . وحصد فى آخر مايه ..!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بروض المصارة مذكورا فى عدة مصادر كتبت بأقلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم .. !

— فابن الخطيب فى (نفاضة الجراب) يذكر جنة المصارة ويعبر عنها مرة أخرى بروض المصارة. ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك ..!(6)

— وابن خلدون فى (العبر) يذكر روض المصارة الذي انزل به ابو الحسن المريني ضيفه ابن الاحمر وكان هذا الروض لصق دار ابى الحسن ..! كما يقول ابن خلدون .. ! (7)

---

2) الارقام المذكورة فى فهرسة القسم المذكور ... !
3) ابن عذاري ج 2 ص 199
4) نصوص الاندلس ص 5 معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1965 م
5) الجزء الاول ص 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر ايضا ص 54 من نفس الجزء ... !
6) نفاضة الجراب ص 184 و 213 و 217
7) العبر ج 7 ص 531 . ط . بيروت 1959 م

وغني عن التأكيد اننا هنا بصدد البحث عن (كلمة) المصارة .. ! لا عن (موضع) المصارة ...

واشتهرت هذه الكلمة فى عصر بني مرين وفى الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن اجل ذلك تداولتها الالسنة والاقلام طوال قرون بعدهم . واستمر ذلك الى الآن ... ! فى الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي كانت تجاور المصارة لمعينين أو للاحباس ..!

ولا شك ان رسم الكلمة رسما صحيحا يتوقف على استحضار أصلها اللغوي ومعرفته ... ! فاذا نسي هذا الاصل أو اهمل ..! فان الكلمة تأخذ طريقا أو طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث فى كلمة المصارة ...

وقد وصلنا الآن الى النقطة الثانية ... وهي الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اننا لاحظنا فى الوثائق التي مرت امام اعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك من يكتبها ... المصارة ..! (بالصاد) ومن يكتبها المسارة ..! (بالسين)

ولا يبعد أن يكون غيرنا قد اطلع على رسمها رسما ثالثا أو اكثر .. !

— وفى مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصارة هكذا « جنات المسارة » بالسين .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاقناعنا ان رسم الكلمة الصحيح لغة واصطلاحا هو (المصارة) بالصاد ... لا بالسين .. !

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمسناه فيما يرجع للمصارة المغربية فى عاصمة بني مرين قد لحق المصارة الاندلسية فى عاصمة الامويين .. ! بناء على ما جاء فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسرة —

فنيما يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسرة مصدرا ميميا للفعل سر ...! كما نجدها اسما لأطراف الرياحين ... (9)

اما فى المسموع بين الناس فى المغرب . وكذلك فى بعض الكتب التاريخية فان المسرة تعني جنة فيحاء من جنات مراكش الحمراء وقد اسست هذه الجنة وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين ..!!

وعلى المنهاج الذي سرنا عليه فاننا نبحث عن (كلمة) المسرة ... ! لا عن (موقعها) أو (صفاتها) التي ذكرها المؤرخون ..! أو بعبارة أوجز وادق .. فاننا نبحث عن الاسم لا عن المسمى ... !

فهل سمى الموحدون منشآتهم التي غرسوها بانواع الاشجار والرياحين فى مراكش بهذا الاسم — المسرة — فعلا ... ؟؟

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية الرياض وما فى معناها باسم المسرة . لكونها ظرفا للسرور الانشراح ... أو سببا من اسبابها . أو لغير ذلك من العلاقات ..! فان البحث هنا منصرف الى شيء آخر ... وهو كما قلنا آنفا .. :

— هل سمى الموحدون منشآتهم التي غرسوها بانواع الاشجار والرياحين فى مراكش بهذا الاسم — المسرة — فعلا .. ؟؟

ونؤكد اننا لا نشك ان الموحدين جملوا عاصمة الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنات والقصور والمساجد والمبرات ... !

ولكن هناك فرقا بين « انشأوا » وبين « سموا » ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل التباس ..!

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش وهم كثيرون يذكرون « المسرة » باعتبارها من منشآت الموحدين ونكتفي هنا بالاشارة الى المقدمة الحافلة لكتاب « الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام » لمؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمه الله ... ! فاننا نجد فيها نقلا عن المؤرخين .. ان عبد المومن « انشأ » المسرة ... ! التي بظاهر جنان الصالحة ... كما نجد ان عبد المومن « انشأ » المسرة وهي البستان الذي « جدده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبحثنا — جهد الامكان — منذ مدة فى المصادر والكتب التي لابس مؤلفوها دولة الموحدين وعرفوا

---

8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م — 1966 م
9) اعتمدنا على تاج العروس فى المادة ..!
10) انظر من الصفحات 67 و 86 و 94 .

عاصمتهم مراكش . ومنهم من سكنها فعلا فى العصر الموحدي ... ! فلم نجد فيها تسمية ما انشاه الموحدون هناك باسم « المسرة » ولا باسم « المصارة » .. !! بل وجدنا اسماء اخرى لا غرض لنا بذكرها الآن ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

— الاستبصار فى عجائب الامصار

— المعجب فى تلخيص اخبار المغرب

— القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان .

— تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة

— مجموع رسائل موحدية

— كتاب المؤرخ البيدق

بل اننا نجد المؤرخ البيدق يذكر فى كتابه : اخبار المهدي. ان عبد المومن كلف اميرا من امراء الاندلس وهو احمد بن ملحان ..؟ ملك وادي آش ..! بتنسيق بستانه العظيم الذي انشاه بمراكش وهذا البستان يسميه البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءتنا كلمة « المسرة » التي نراها عند بعض المؤرخين من تعريب كلمة « شنطولية » التي حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق .. ؟؟

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة فى الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجدان لا يقتضى عدم الوجود ... !

فاذا لم يتيسر لنا الآن الاطلاع على نص موحدي فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين — مستشرقين او عرب — قد اطلعوا عليه فعلا .. او سيطلعون عليه فى مخطوط او مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئا وقف على نص يثبته ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئا لم يجد له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم .. !

ويطبق آداب البحث ... !

واذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما يرجع لمنشآت الموحدين بمراكش ...! فانهم استعملوا كلمة «المصارة» فيما يرجع لمنشآت المرينيين بفاس..!

ولكن لا ينبغي ان نستنتج من ذلك نتائج جزافية او نفرض فروضا خيالية لا سند لها من النصوص .. لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه .. ونسير به فى كتب المتاخرين كما فعلنا فى كتب المتقدمين

— فالمؤرخ اكنسوس فى (الجيش العرمرم) وهو خبير بتاريخ مراكش وفاس .. يذكر فى كتابه .. مسرة الموحدين بمراكش(12) كما يذكر مسرة فاس..! ويقول عن هذه الاخيرة بالحرف : « واما المسرة فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فعن مسرة مراكش فان كلام اكنسوس يدخل فى عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين ...! حيث اننا تحفظنا ونتحفظ الى ان نجد نصا موحديا يسمي منشآت الموحدين «مراكش باسم (المسرة) فعلا ... !

وعن مسرة فاس ... ؟

فان الامر يستدعي ان يقوم دليل يدل على ان هناك بفاس شيئين اثنين :

(المصارة) التي تحدثت المصادر عنها كما شاهدنا ذلك فى النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها اكنسوس ... ! والحالة هذه . ونحن لحد الآن ... لا نعرف الا الاولى .. !

— والمؤرخ الواعية ابو العباس المقري حدثنا فى كتابيه : روضة الآس ... ونفح الطيب عن روض المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي .. (14)

للبديع ..! والمشتهى ..! والمسرة ..! والظاهر انها كلها بمراكش ..!

ويقول المقري ان المنصور الذهبي ورى بمصانعه الثلاثة فى بيتين انشدهما ..

---

11) اخبار المهدي ابن تومرت ص 120 . ط باريز 1928 م .
12) الجزء الثاني ص 10 و 22
13) المصدر السابق ص 55
14) النفح ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الآس ص 25 ط . الرباط

بستان حسنك (ابدعت) زهراتـــه
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهـــى

وقوام غصنك (بالمسرة) ينثنـــي
يا حسنه رمانـــة (للمشتهـــى)

فالمنصور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما سمى احد مصانعه العظمى بمراكش .. باسم (المسرة) كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعتـــه ليسمي المصنعين الآخريـــن باســـم (البديع) و (المشتهى)

ولهذا تكون (مسرة) الذهبي بمراكش امـــرا واقعا ليس له من دافع .. !

اما (مسرة الموحدين) بهذا الاسم فتحتـــاج في راينا المتواضع الى نص موحدي يثبت ان الموحديـــن استعملوا هذا الاسم .. !!

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي تحفظنا به في شأن كلمة (المسرة) هو ان ابا العباس المقري كان متمكنا من معرفة الاسماء والمسميات في الموضوع ...

فقد وجدناه يفرق بين (روض المسرة) الذي هو من مصانع المنصور الذهبي بمراكـــش .. ! فيكتـــب (المسرة) هكذا بالسين وبدون الف ... كما في النص الذي اشرنا اليه قبل في نفح الطيب وروضة الآس ...

وبين (قصر المصارة) بفاس الذي هو مـــن منشآت المرينيين فيكتب (المصارة) بالصاد بعدها الف ... كما هو الصواب .

وقد حدثنا المقري عن قصر المصارة المريني وروى لنا شعر ابن خميس الذي سمعه ابو عنان في هذا القصر ... ! (15)

---

15) ازهار الرياض ج 2 ص 316

دخيل أم أثيل

الأستاذ عبد الحق فاضل

— 4 —

الـــدرب :

الطريق ، ار : (دربو darbo)

اصل معنى الدرب هو الباب الاكبر ، وبــــاب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابــل بالانكليزية (gate).

اما اثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و (دور dour) بالآشورية كالذي تطرتنا اليه فى العــدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربيين فى الفارسية (در dar) ودرب (darb) بمعنى الباب وبشكلها الآشوري فى الانكليزيـــة (دور door) بمعنى الباب ايضا .

وهذا ينبىء بكل وضوح ان (الدار) كانـــت تعني الجدار الذي (يدور) أي يحيط بالبيت اول الأمر (كما ذكرنا فى العدد السابق) ثم اطلقت على البيــت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة اي الطريق . وعندئذ ظهرت فى الارميـــة بصيغة (دربو) بهذا المعنى الاخير .

الـــدراج (زنة الدكان) :

طائر يشبه الحجل ، ار : (دروكو drogo) .

انما سمي الحجل بهذا من مشيته لانه يبدو حين يسير كانه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج مـــن مشيته لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدرج فى العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبىء أن اسم (الدراج) ليس منها . وأثل اللفظة (الدر) — زنة الجر — ومنه الدرير : السريع من الدواب .

الدراعـــة (زنة الرمانـــة) :

جبة مشقوقة المقدم ، ار : (دورعو dour'o) : ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

ان (الدرع) اثلها (الدرء) أي الدفع وهـــذه اثلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لانها تدرأ اي ترد عن المحارب ضربات تريعنه ، ولما كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابـــس استعارة ، ومن ذلك درع المراة : قميصهـــا ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه فى البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو النخلة (درعة) زنـــة جرعة . فلا عجب أن أطلقوا (الدراعة) على الجبـــة المشقوقة المقدم . وبنفس المعنى قالوا (المدرعة) — زنة المقرعة — ايضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الاخيرة من الأرمية لأنهم لم يجدوا لها فيها شبيها.

ويلاحظ أن الصيغة الأرمية يقابل مبناها درع المراة ، لا الدراعة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما أن معناها لا يطابق الثوب التحتاني الصوف عند الرومـــــان .

ادركت الشـــيء :

علمته ، فهمتـه ، ار : (درك drak) دخل مكانا .

نشترط في ترسيسنا اللغوي التشابه في اللفظ والمعنى جميعا ، والا فان مجرد الشبه اللفظي لا يؤدي الى نتيجة يعول عليها . فكلمة zink (خارصين) بالانكليزية مثلا لا نستطيع أن نقول انها بنت (زنق) العربية ولا امها ، لأن تباين المعنى لا يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزناق) تحت حنك الفرس اي ذقنه كان في وسعنا أن نقول ان (زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وأم (زنخ zenakh) الفارسية التي تعني الذقن أيضا .

فاذا كانت (ادرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك) الأرمية التي تعني (دخل مكانا) فلا نرى وجها لاعتبار أيتهما مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا التباين في المعنى .

لكننا نستطيع أن نرشدهم الى اثل هذه الكلمة الارمية في العربية وهو (ادرج) الشيء في الشيء : ادخله ، ومن ذلك (الدرج) — زنة البرج — بمعنى السفط والقمطر لانهم يدرجون فيهما الاشياء اي يدخلونها . ومن ذلك قولك ادرجت العبارة بين السطور بمعنى ادخلتها ، وصارت تعني دونتها أيضا .

وما اظننا بحاجة الى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على انها اثل (درك drak) الأرمية .

داس الحنطـــة :

درسها ، ار : (دوش doch) .

اثل الدوس في العربية هو (الدش) — زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رضه . والدش اثله ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك ايضا . فالدش هو اثل (دوش) الارمية والدوس العربية كليهما . اما في الانكليزية فهي dash : حطم .

الـــراحـــة :

هي الاستراحة . ار : (روحتو rawhto) من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والمروحة.. في عدد سابق ، وبرهنا على اثالتها في العربية .

الـرب (زنة الضـب) :

المولى ، ار : (ربو rabo) : كبير ، استاذ رئيس .

وردت الكلمة في البابلية أيضا ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو او الأب + رابي : الكبير)

واثلها هو فعل ربا يربو الذي اصل معناه الارتفاع بدليل ان الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل اثله (ربأ) بالهمزة بمعنى ارتفع ، ولكل من هذه الافعال الثلاثة (رب وربا وربأ) اشتقاقات كثيرة لا تدع مجالا للشك في اثالة عروبتها . وان اردنا ترسيسها زيادة في الاقتناع فان (ربأ) اثله رفع وهذا من فرع وهذا من فرق وهذا من فر (اي محاكاة صوت اجنحة الطائر عند فراره) .

الـرب (زنـة الدب)

ما يختر من عصير الثمار ، ار : (روبو roubo) .

ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فان اثلها يختلف عن اثلها . فالرب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي بالباء مثل : الجب والصب والعب والسرب والشرب .. واثلها جميعا (آب) : ماء . اما (الرب) فاثله المباشر الروب ، وقد قالوا راب اللبن : خثر فهو رائب ، واصل معنى (راب اللبن) هو موه الحليب اي انفصل (ماؤه) فتكثف قوامه وخثرت مادته : ومن روب اللبن نشأ الرب بمعنى التخثر عامة ومنه تخثر عصير الثمار ، ثم ظهر في الأرمية .

الـربـــة (زنة الخفـة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، ار : (ربوتو rêbouto) .

هذه الكلمة أيضا اثلها ربا يربو ، وهذا اثله ربأ يربأ (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذي تقدم بنا . ومن